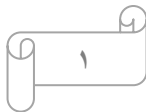


رواية

هدير بائعة الجرجير

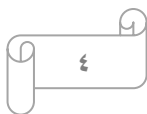
يوسف النصر



ليس كل ما يلمع ذهبًا، وليس كل
كلمة «أحبك» نابعة من القلب.
فالاختيار الخاطئ يترك دائمًا أثرًا في
حياتنا، وهذا الأثر يبدأ ببذرة صغيرة،
ثم تكبر هذه البذرة بسبب الضغوط
النفسية، حتى تصبح شجرة تطرح
ثمارًا، وقد يكون ثمرها الأخير هو
الموت.

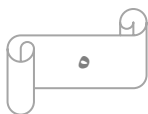
هذه الرواية مستوحاة من قصة
حقيقية، وبطلتها امرأة عانت كثيراً،
ومرت بأيام يصعب على أي إنسان
تحملها. ولكن الله رحمها من كل تلك
المعاناة في يوم ١٢/١٠/٢٠٢٥م
الموافق يوم الأحد، في تمام الساعة
الثالثة مساءً، بعد إصابتها بجلطة
دماغية أدت إلى وفاتها.

وأعلم جيدًا أنني كشفت لكم عن نهاية
الرواية، لأنكم الآن تعلمون أن البطلة
ستموت، ولكن هذه ليست مجرد
رواية، بل قصة حقيقية لامرأة لم تجد
الرحمة في حياتها، وعاشت أسوأ أيام
عمرها بسبب اختيار خاطئ، وهذا ما
سوف نعرفه معًا.

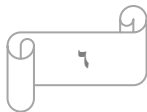


وقبل أن نبدأ الرواية، أرجو منكم
جميعًا أن تترحموا على بطة الرواية،
وأن تطلبوا لها الرحمة والمغفرة من
الله. فهذه الرواية إهداء إلى روحها
الطاهرة.

واحرًا لذكرى بطة هذه القصة
الحقيقية، ومراعاة لمشاعر أسرتها
وأبنائها، تم تغيير اسمها وبعض
البيانات الشخصية دون المساس
بحقيقة الأحداث.

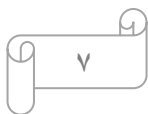


بداية الرواية



تبدأ حكايتنا مع هدير، فتاة في أوائل
العشرينيات من عمرها، جميلة للغاية،
يفوح منها رائحة الجمال، وتلفت
الأنظار أينما ذهبت.

ويشاء القدر أن تلتقي بشاب وسيم،
فتعجب به، وتبدأ في رسم عالم مليء
بالسعادة والتفاؤل في خيالها. كانت
تتخيل كم ستكون الحياة جميلة معه،
وكانت ترى العالم كله في عينيه. ورغم
جمالها، كانت تتمنى أن تجلس معه ولو
لثوانٍ قليلة.



ومع مرور الوقت، بدأ الشاب يُعجب
بها هو الآخر، ولاحظ اهتمام هدير
به، ذلك الاهتمام الذي لم تكن
تستطيع هدير السيطرة عليه. وبدأ
الحب يشتعل بينهما، حتى أصبح كل
منهما متعلقًا بالآخر.

ونسوا أمرًا بالغ الأهمية، وهو أن لكل
إنسان عيوبًا، وأن على الطرف الآخر
أن يتقبلها. لكنهما هم لم ينظرا إلى
عيوب بعضهما، بل كان كل منهما يرى

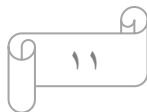
الآخر وكأنه قطعة نادرة لا مثيل لها
في العالم.

لم يهتما بالتعرف علي عيوب بعضهما،
وركزا فقط على الحياة السعيدة التي
تنتظرهما. وعاشا في عالم من الخيال لا
يتوافق مع الواقع، حتى انتهت قصة
حبهما بالزواج.

وبعد أيام قليلة من الزواج، اصطدم
كل منهما بالحقيقة، واكتشف أن
الطرف الآخر ليس كما كان يتخيله.

فالشاب كان كثير الشك، وغير واثق
من نفسه، وكان يشك في كل من
حوله، حتى هدير. كما كان دائم
التردد، وكان يخفي كل هذه الصفات
خلف مظهره الوسيم وجماله اللافت.
أما هدير، فلم تكن لطيفة كما كان
يتوقعها الشاب، وبدأ يدرك أنها لن
يعيشا الأحلام التي رسماها في خيالهما.
وبدأت المشكلات سريعاً، وعاشا أياماً
كثيرة مليئة بالحزن والمشاحنات،
حتى جاء الخبر المفاجئ

هدیر حامل!



فتغيّر تعامل زوجها معها تمامًا، وبدأ
يعاملها بطريقة جيدة، فأحبت هدير
هذا التعامل الراقي من زوجها،
وشعرت بأنه بدأ يخاف عليها من
جديد، ويساعدها في جميع أمور
المنزل.

وعادت الحياة بينهما هادئة، وكان
الحب لا يزال موجودًا، حتى إن
المشكلات بدأت تختفي، وأصبح كل
منهما يتقبل الآخر ويتغاضى عن
أخطائه.

فحتى عندما كانت هدير تغضب منه
أو تنفعل عليه، كان يتقبل ذلك
بسعادة من أجل الحمل.

وعاشت هدير أسعد تسعة أشهر في
حياتها، بعد ثلاثة أشهر من العذاب
والتعب والمشكلات التي لا تنتهي.

فعلى الرغم من صعوبة الحمل وما
صاحبه من تعب وإرهاق، كانت
هدير سعيدة جدًا بهذه الفترة، ولم
تكن هناك مشكلات تُذكر، وعاشت

في هدوء وراحة، وكل ما كانت
تطلبه تجده.

وأخيراً، أنجبت هدير طفلها الأول،
ورزقها الله بمولود ذكر أطلقت عليه
اسم كريم.

ولكن بعد ولادة كريم بأيام قليلة،
اختفت السعادة من جديد، وعادت
المشكلات لتبدأ مرة أخرى...

وكأنها لم تكن سوى فترة قصيرة من
الراحة، قبل أن تعود المشكلات من

جديد، ولكن هذه المرة كانت أكبر
وأكثر صعوبة بسبب المسؤولية
الكبيرة التي أصبحت على عاتق
الأب. ولا ننسى أن شخصية الأب
كانت ضعيفة ومتردة، ولم يكن قادرًا
على تحمل المسؤولية، فكانت
المشكلات تتزايد يومًا بعد يوم.
وبعد أن أتم كريم عامه الأول، لم يعد
الأب قادرًا على مواجهة الحياة التي
أصبح مسؤولاً عنها. كانت الضغوط
تتراكم، والخلافات تتسع،

والمسؤوليات التي كان يفترض أن
يتحملها بدت له أثقل مما يريد أن
يواجهه. وبدلاً من أن يبحث عن
حل، أو يحاول إصلاح ما أفسدته
الأيام، اختار الطريق الأسهل بالنسبة
إليه:

الهروب

لم يكن رحيله مجرد مغادرة منزل، بل
كان تخليًا عن حياة كاملة تنتظر منه
أن يكون سندًا لها. ترك خلفه زوجة
لا تزال تحاول فهم ما يحدث بينهما،
وطفلًا صغيرًا تجاوز عامه الأول، لا
يعرف من الدنيا سوى حاجته إلى أمه
وأبيه، ولا يدرك أن والده قرر فجأة أن
يبتعد.

غادر الزوج المنزل، وقطع جميع
وسائل التواصل بينهما، وكأنه أراد أن
يبتعد عن المشكلة بمجرد الابتعاد عنهم

لم يفكر في الذين سيواجهون بعد
رحيله.

ولا كيف ستدير احتياجات
طفلها، ولا من سيحمل عنها أعباء
الحياة التي تركها خلفه.

ربما ظن أن الرحيل سيمنحه بعض
الراحة من الضغوط التي لم يعد
يحملها، لكنه لم يدرك أن ما يهرب منه
لن يختفي، وأن المسؤولية لا تسقط
بمجرد إغلاق الهاتف أو مغادرة المنزل.
فقد اختار أن يخفف عن نفسه ثقل

المواجهة، لكنه ترك ذلك الثقل كله
فوق كتفي امرأة وطفل لم يكن لهما
ذنب في شيء.

أما هدير، فوجدت نفسها للمرة
الأولى أمام واقع لم تستعد له؛ زوج
غائب، وطفل يحتاج إليها في كل
شيء، وأسئلة كثيرة لا تجد لها إجابة.
لم تكن تعرف هل سيعود، ولا متى،
ولا كيف ستواجه الأيام القادمة،
لكنها كانت تعرف شيئًا واحدًا: أن
كريم ما زال يحتاج إلى الطعام والرعاية

والأمان، وأن عليها أن تستمر، حتى
وإن لم يعد هناك من يشاركها
المسؤولية.

لكن المشكلة الأكبر بدأت تظهر، فقد
كانت هدير في ذلك الوقت في
الأشهر الأولى من حملها الثاني. وبعد
مرور شهرين على ترك الزوج للمنزل،
اكتشفت هدير حملها، وحاولت
التواصل مع زوجها لتخبره بالأمر،
لكنها لم تستطع الوصول إليه، فجميع
وسائل الاتصال به كانت مقطوعة.

ومع بداية الشهر الثالث من الحمل،
نقد المال من هدير، ولم يعد لديها ما
تشتري به احتياجات المنزل .
فتواصلت مباشرة مع والد زوجها،
وأخبرته بكل شيء، وأوضحت له أن
المنزل لم يعد به أي أموال، وأنهما لم
يعودا قادرين حتى على شراء الخبز،
وأن ابنه تركهما ورحل، بينما هي الآن
حامل في شهرها الثالث.

كانت هدير تأمل أن يجد والد زوجها
في قلبه بعض الرحمة والإنسانية، وأن

يقدر حالتها وما تمر به .فقد كانت كل
كلمة تخرج منها تصاحبها دموع غزيرة .
كانت هدير تعيش حياة مستقرة، ولم
تكن تتخيل يومًا أن يصل بها الحال
إلى أن يصبح منزلها خاليًا حتى من
الخبز.

ولكن ماذا ننتظر من أب لم يستطع
أن يربي ابنه على تحمل المسؤولية!!!
فكان رد والد الزوج عليها:

سوف أتواصل مع ابني وأجعله
يتحدث معك.

فطلبت منه هدير رقم الهاتف الذي
يعمل به زوجها، لأن جميع الأرقام
الموجودة معها لم تعد تعمل.

لكن الرجل أنهى المكالمة وأغلق
الهاتف.

ومر يوم كامل على هدير وكريم دون
طعام في المنزل، حتى كادت هدير
تفقد قدرتها على التحمل من شدة

الجوع، وكانت تشعر بالخوف على
جنينها الذي لم يعد يصل إليه ما
يكفيه من الغذاء، بينما كان كريم يبكي
من الجوع، ولا يوجد في المنزل ما
يسد جوعهم.

وبعد كل ذلك، وصلت إلى هدير
مكالمة هاتفية من رقم غير معروف.

أجابت هدير:

ألو، من معي؟

فرد المتصل:

أنا زوجك، والد كريم.

فقلت هدير بلهفة وعتاب وهي تبكي:

كيف استطاع قلبك أن يفعل ذلك؟

كيف لم تتصل بي طوال هذه الفترة؟

ألم تكن تعلم أنني حامل؟

وبكل برود، رد والد كريم:

حامل من مَنْ؟ أنا تركت المنزل منذ

فترة، فمنذ متى وأنتِ حامل؟

وبدموع تملأ عينيها، قالت هدير:

أنت تشك فيّ؟

فرد والد كريم:

أنا لا أشك في أحد، أنا متأكد أن
الطفل الذي في بطنك ليس ابني.

انهارت هدير من البكاء، وأقسمت له
بالله العظيم أن الجنين الذي في بطنها
ابنه، وأنها مخصصة له، وأن تربيتها
وأخلاقها لا تسمحان لها بفعل أي
شيء مما يتهمها به.

لكن والد كريم رد عليها بالبرود نفسه،
وقال:

وما الذي يثبت أن الطفل الذي في
بطنك ابني؟ أنا تركتك منذ فترة
طويلة، ولا أتحمل أخطاء أحد .
سوف آخذ ابني، أما أنتِ فاذهي بما
في بطنك إلى والدك.

انهارت هدير تمامًا، وكان انهيارها هذه
المرّة قاسيًا للغاية، فقد اجتمع عليها ألم
الجوع مع قسوة الكلمات التي تسمعها
من زوجها.

وبكت بكاءً مريئاً، ثم قالت له:

أنا لا أستطيع التحدث معك أكثر من
ذلك. كل ما أطلبه منك أن ترسل لي
بعض المال حتى أستطيع شراء الطعام
لي ولابنك. أقسم لك مرة أخرى أن
الطفل الذي في بطني ابنك أيضاً،
ونحن الآن نعيش دون أي طعام
نهائياً. أرجوك، أرسل لنا بعض المال
حتى نستطيع شراء الطعام، وحتى لا
أموت أنا وابنك من الجوع.

فرد والد كريم قائلاً:

قلت لك إني لا أتحمل أخطاء أحد .
ولا أريدك أن تتصلي بأي شخص من
عائلي وتطلبي منه المال .أنا لن أرسل
لك أي أموال.

اذهبي إلى الشخص الذي أخطأتِ
معه، واجعليه ينفق عليك .أنا لا
أريدك.

استمرت هدير في الانهيار، وقالت له
وسط دموعها:

لقد كنت مخلصه لك، ولم أنظر إلى
رجل غيرك. والله يعلم أنني مظلومة،
وأنتي لم أكن لأغضب ربي من أجل
إرضاء أي إنسان. الله وحده يعلم ما
أمر به الآن. حتى ثمن الدواء الخاص
بالحمل لا أملكه، ومنزلي خالي من
المال تمامًا. أرجوك، اعتبرني أتوسل
إليك، وأرسل لي أي مبلغ من المال.
أنت مصدرى الوحيد في هذه الحياة
بعد الله، وأنا لم أطلب منك شيئاً
لنفسي.

وإذا كنت لا تريد أن ترسل لي المال،
فأرسل طعامًا لابنك. لا أطلب منك
أن ترسل المال إليّ، بل أرسل المال
إلى والدك ليشتري به بعض الطعام
ويحضر به إلينا. أنا لا أريد المال، كل
ما أريده هو بعض الطعام الذي
أستطيع أن أعيش به أنا وابنك، حتى
لا نموت من الجوع. أرجوك، أتوسل
إليك!

أغلق والد كريم الهاتف في وجه
زوجته هدير.

وبعد دقائق قليلة، اتصل بها مرة
أخرى .

فرحت هدير عندما رأت اتصاله،
وظنت أنه سيتحدث معها بخبر
يسعدها، ربما يخبرها بأنه أرسل إليها
بعض الطعام أو المال، أو أنه ندم على
الكلمات القاسية التي قالها لها.
لكن ما سمعته كان أقسى من كل ما
سبق.

قال والد كريم:

لقد تواصلت مع والدك وأخبرته بكل شيء، حتى يكون على علم بما يحدث .
وأنا أعلم جيدًا أن الطفل الذي في بطنك ليس ابني، وطلبت من والدك أن يأتي إليك ويعرف من الرجل الذي أخطأت معه .ولا أريد الاتصال بك مرة أخرى أو التواصل معك.

ردت هدير وهي تبكي:

حرام عليك !لقد اتهمتني اتهامًا
باطلاً، وأنا لم أفعل شيئًا مما تقوله .
حرام عليك، تذكر لي شيئًا جميلًا
فعلته من أجلك .لقد توسلت إليك
حتى ترسل لنا بعض الطعام من أجل
ابنك، ومع ذلك ما زلت مصرًا على
اتهامي .سأقول لك شيئًا واحدًا :

الله لم يخلق جهنم من فراغ، بل خلقها
لمن يستحقون العذاب .

حسبي الله ونعم الوكيل، والله يعلم
الحقيقة ويطلع على كل شيء.

فرد والد كريم:

افعلي ما تشائين، أنا لا أصدق
كلامك، ولا أريد أن أسمع صوتك مرة
أخرى.

وقبل أن يستمر الحديث بينهما،
قاطعت مكالمتهما مكالمة أخرى من
والد هدير.

فقالت هدير لزوجها:
أبي يتصل بي، سأرد عليه.
ألو، أبي.

لكنها فوجئت بوالدها يبكي، وتخرج
كلماته بصعوبة من شدة تأثره، وقال
لها:

سامحيني يا ابنتي.

بكت هدير هي الأخرى، وقالت له:

أسامحك على ماذا يا أبي؟

أنت لم تفعل شيئًا.

فرد والد هدير:

بل فعلت شيئاً ندمت عليه طوال
عمري، وهو أتي وافقت على زواجك
من ذلك الشاب.

قالت هدير:

إنه معي الآن على الهاتف.

فرد والدها بحزم:

أغلقي المكالمة معه، فهو لا يستحق
حتى أن يسمع صوتك. أغلقي هاتفك
تماماً، وخذي ابنك وتعالى إلى بيت

أبيك مفتوح لك دائماً، ولن تجدي فيه
إلا الحب والأمان.

ردت هدير وهي تبكي بشدة:

أبي، أنا لم أفعل ما يتهمني به، والله لم
أفعل شيئاً مما يقوله عني.

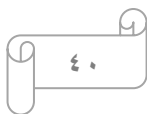
فقال والدها:

أنا أعرفك جيداً يا ابنتي، وأعرف
تربيتك، وأعرف الدين والأخلاق التي
زرعتها فيك. ومن المستحيل أن
تفعل شيئاً كهذا. فلا تشكي لحظة

واحدة في أتي صدقت كلمة واحدة
من كلام ذلك الوغد .

فهو لا يستحق أن يتعامل مع ابنتي
بهذه الطريقة.

وسأعرفه جيدًا كيف يجرؤ على
اتهامك والتحدث عنك بهذا الشكل .
سأجعله يندم طوال حياته على مجرد
التفكير في توجيه مثل هذه الاتهامات
إليك، وسأعلمه من جديد كيف يحترم
ابنتي، إذا كان لم يتعلم ذلك منذ
نشأته.



ردت هدير:

لا يا أبي، أرجوك، لا أريد أي
خلافات.

وفجأة، ارتفع صوت كريم وهو ينادي:

أمي... أمي!

فرد والدها:

ماذا يريد ابنك؟

أجابت هدير:

إنه يريد الطعام.

فقال لها والدها:

اذهبي وأطعميه، وسنكمل حديثنا
عندما تأتين إلى المنزل.

ردت هدير بصوت مكسور:

ماذا أطعمه يا أبي؟ المنزل خالي من
الطعام منذ أمس.

صرخ والد هدير من شدة الصدمة،
وقال:

ابنتي تقضي يومًا كاملاً دون طعام في
منزلها؟!!

ثم قال لها:

اذهبي إلى أقرب مكان لاستقبال
الأموال، اذهبي الآن، وسأبقى معك
على الهاتف.

خرجت هدير مسرعة إلى أقرب
مكان لاستقبال الحوالات المالية،
وبالفعل أرسل لها والدها المال.

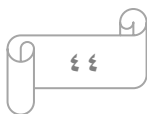
وقال لها:

اذهبي واشتري طعامًا لك ولابنك،
وكلًا جيدًا، ثم تعالي إلى المنزل.

شكرت هدير والدها، وأنهت المكالمة،
ثم تسلمت المال من مكان
الاستقبال. وما إن أمسكت بالنقود
حتى قبلتها وهي تبكي، ثم ضمها إلى
يديها وقالت:

شكراً يا أبي، لقد أنقذتني أنا وابني
من الموت. شكراً لك يا رب لأنك
رزقتني أباً مثله.

ثم أسرع إلى أحد المتاجر لشراء
الطعام.



كان والد هدير قد أرسل لها مبلغًا
يقارب عشرة دولارات بالعملة المحلية .
وهذا المبلغ كان في الحقيقة مخصصًا
لشراء دوائه.

فوالد هدير كان قد تجاوز سن العمل،
وكان يحصل على دعم مالي من الدولة
لكبار السن، وكان المبلغ الذي
يتقاضاه أقل من أربعين دولارًا بالعملة
المحلية شهريًا، وكان يعتمد عليه في
توفير الطعام والشراب واحتياجات
المنزل طوال الشهر.

وكان يحصل على بعض أدويته مجاناً
من المستشفيات، لكن بعض الأدوية
لم تكن متوفرة، وكان يضطر إلى
شراءها من الخارج.

وكان المبلغ الذي أرسله لابنته هو
نفسه المال الذي ادخره لشراء أدويته.
كانت حياة والد هدير صعبة إلى حد
ما، فالمبلغ الذي يحصل عليه من
الدولة لم يكن يكفي لتلبية احتياجاته
الأساسية، لكنه عندما علم أن ابنته

لا تجد ما تطعمه لنفسها ولطفلها، لم
يتردد لحظة واحدة في مساعدتها.

أخذ المال الذي كان يحتاج إليه
لعلاجه، وأرسله إلى ابنته، دون أن
يفكر في نفسه.

أما هدير، فقد أخذت المال وذهبت
إلى المتجر، واشترت طعامًا يكفيها هي
وابنها لمدة تصل إلى عشرة أيام تقريبًا.

كان الطعام بالنسبة إليها أشبه بكنز
ثمين. فقد عادت إلى منزلها وهي تحمل

ما لم تكن تتخيل أنها ستحصل عليه
في ذلك اليوم.

وعندما دخلت المنزل ومعها الطعام،
فرح كريم كثيرًا. فقد ظل جائعًا منذ
الصباح، حتى وصلت الساعة الثامنة
مساءً، وأخيرًا أصبح أمامه ما يأكله.

جلست هدير مع ابنها، وأكلا بعد يوم
طويل من الجوع والتعب.

وبعد ذلك، اتصل بها والدها وسألها:

لماذا لم تأتي إلى المنزل حتى الآن؟

فأجابته:

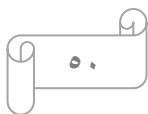
سأبقى هنا الليلة يا أبي، وسأتي إليك
غداً.

فكانت هدير سعيدة للغاية بالطعام
الذي أصبح لديها، وكانت تشعر
وكأنها تمتلك كنزاً حقيقياً. لكنها لم تكن
تعلم أن هذا الكنز دفع ثمنه إنسان لم
يتمنَّ في حياته سوى رؤيتها سعيدة،
إنسان أحبها أكثر من أي شخص
آخر.

لقد كان والدها.

وفي فجر اليوم التالي، توفي والد هدير
نتيجة تجلط الدم.

ففي اليوم الذي أرسل فيه المال إلى
ابنته، كان من المفترض أن يحصل
على حقنة طبية، إلى جانب أدوية
أخرى تساعد على سيولة الدم،
خاصة أنه كان يعاني أيضًا من مرض
السكري. لكنه لم يشتَرِ دواءه،
وفضّل أن يرسل المال إلى ابنته حتى
لا تنام هي وطفلها جائعين.



وفي الصباح، وصل الخبر إلى هدير.
فكانت الصدمة أكبر من قدرتها على
الاستيعاب، فلم تكن تتخيل أن
والدها الذي تحدثت معه قبل ساعات
قليلة لن يكون موجودًا بعد ذلك.
ولم تكن صدمتها بسبب وفاة والدها
فقط، بل كانت هناك كارثة أخرى
تنتظرها.

فهدير لم يكن معها أي مال حتى
تذهب وتشارك في دفن والدها.

لقد أنفقت كل ما أرسله لها على
الطعام، ولم يتبقَّ معها أي شيء .
وهذا هو السبب الذي جعلها تقرر
البقاء في المنزل تلك الليلة، على أمل
أن تطلب من والدها بعض المال في
الصباح حتى تستطيع الذهاب إليه.
لكنها لم تكن تعلم أن الصباح سيحمل
إليها خبر وفاة والدها، وأنها لن تتمكن
حتى من الوصول إليه.
والآن، أصبحت الكارثة أكبر؛ فوالدها
قد توفي، والجيران ينتظرون

حضورها، بينما هي لا تملك المال الذي
يساعدها على الذهاب إليه.

وفي وسط هذه الصدمة، فكرت
هدير في أول شخص يمكنها الاتصال
به، وكان زوجها، والد كريم.

اتصلت به، وكان رده:

ماذا تريد مني؟ ولماذا تتصلين بي؟

أجابته هدير بصوت مليء بالحزن:

أبي توفي اليوم.

وبكل برود، رد والد كريم:

لقد كان رجلاً لم يستطع تقبّل ما
فعلته ابنته، فمات محتفظاً بكرامته .
فوالدك كان لديه كرامة وعزة نفس،
وأنتِ لا تملكينها.

حاولت هدير أن تتماسك، وقالت له:

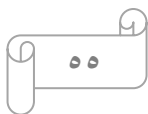
قل ما تريد قوله، لكنني الآن أريدك
بجانبي .أريدك أن تقف معي

وتساعدني في دفن والدي .أنا الآن
ليس لديّ أحد في هذه الحياة غيرك،

وأنا وحيدة تمامًا. أتوسل إليك أن
تقف بجانبني في حزني، وأن تساعدني
في دفن والدي. أريدك أن تأخذني بين
ذراعيك الآن، فأنا بحاجة إليك. لا
يوجد معي أحد في هذه الحياة غيرك.

رد والد كريم:

أنا مشغول الآن، ولا أستطيع أن آتي
لدفن والدك. اذهبي واتصلي بعشيقك
ليأتي ويقوم بهذا الأمر.



أقسمت هدير بالله العظيم أنها لم
ترتكب أي ذنب، وقالت له:

أقسم بالله أنني بريئة، ولم يجرؤ أي
رجل على الاقتراب مني. لقد حفظت
عهدي معك ولم أخنك يومًا. تعال
إليّ، وكن بجانبني، فمن كان سندي في
هذه الحياة رحل، وأنت الآن
الشخص الوحيد الذي أستطيع أن
أطلب منه الوقوف بجانبني. أتوسل
إليك.

رد والد كريم:

هذه ليست مشكلتي .ادفني والدك أو
افعلي به ما تشائين .لن أترك عملي
وآتي إليك، فعملي أهم منك ومن
والدك.

صرخت هدير وقالت:

احترم ولدي !فهو أعز ما أملك في
هذه الحياة .وإذا كنت لا تريد أن
تأتي، فهذا أمر يعود إليك .لكنني أريد
منك أي مبلغ من المال .أريد فقط أن
أذهب إلى والدي حتى أودعه وأشارك
في دفنه .أنا لا أملك أي أموال حتى

أذهب لدفن أبي .أتوسل إليك،
أرسل لي أي مبلغ تستطيع إرساله .
زوجتك لا تجد المال حتى تذهب
وتدفن والدها .أرجوك، أرسل لي
بعض النقود، فأنا منهارة الآن، ولا
أجد شخصًا آخر أتواصل معه.

رد والد كريم:

لقد قلت لك إتي لن آتي، ولن أرسل
لك أي أموال .اذهبي إلى عشيقك،
ولا تتواصلي معي مرة أخرى، حتى

لو حدث لك أي شيء .لا أريدك أن
تتصلي بي مرة أخرى.

ثم أغلق الهاتف.

صرخت هدير بأعلى صوتها، وقالت:

يا رب، لقد توفي والدي، وليس لديّ
المال حتى أذهب إليه وأراه للمرة
الأخيرة! وليس لديّ المال حتى أكرم
أبي وأشارك في دفنه!

ثم أسرع هدير إلى الطعام الذي
اشترته في اليوم السابق، وحملته

وعادت به إلى المتجر، وطلبت
إرجاعه واسترداد ثمنه.

لم تفكر في الطعام هذه المرة، فقد
أصبح كل ما يشغل تفكيرها هو رؤية
والدها للمرة الأخيرة.

استردت المال، ثم أسرع إلى منزل
والدها، وكان هذا كل ما تملكه حتى
تصل إليه وتودعه.

وعندما وصلت، وجدت أن الجيران
قد قاموا بكل شيء، فقد كانوا يعرفون

ظروف والدها جيدًا، وإنك تكفلوا
بجميع مصاريف الجنازة والدفن.

دخلت هدير، وكان كل شيء قد
انتهى تقريبًا . نظرت إلى والدها نظرة
الوداع الأخيرة، وكانت تلك آخر مرة
تراه فيها.

ثم تحركوا مباشرة لدفنه.

وبعد انتهاء الدفن، عادت هدير هي
مكسورة، فقد فقدت سندها الوحيد
في هذه الحياة . مات والدها، أما

زوجها فقد اعتبرته ميتًا بالنسبة إليها
منذ تلك اللحظة.

جلست هدير تبكي وحدها في منزلها
بعد انتهاء العزاء، وكانت الصدمة
الأكبر عندما بدأت تفكر في الحقيقة
التي لم تكن قادرة على تحملها؛ فقد
أدركت أن المال الذي أرسله والدها
إليها كان مخصصًا لشراء أدويته، وأنه
ربما كان سببًا في وفاته.

أخذت تلوم نفسها أكثر فأكثر،
وظلت تقول:

لو لم يرسل أبي ذلك المال إليّ، لربما
كان لا يزال على قيد الحياة.

وظلت طوال الليل تبكي وتلوم
نفسها، ولم تستطع النوم لحظة
واحدة.

ومع حلول الصباح، فقدت هدير
وعينا، فأسرع الجيران بنقلها إلى
المستشفى.

وبعد الفحوصات، اتضح أن الحزن
الشديد والضغط النفسي الذي

تعرضت له تسببا في مشكلات أثرت
على حملها. وكانت هدير قد وصلت
إلى النصف الثاني من الشهر الثالث
من الحمل.

وبقيت في المستشفى لمدة ثلاثة أيام،
وكان ابنها كريم معها طوال فترة
وجودها هناك.

وأخيراً، جاء اليوم الثالث، وخرجت
هدير من المستشفى، لكنها لم تكن
قد تعافت نفسياً بعد. فقد ظلت
تشعر بالذنب، وتلوم نفسها كثيراً،

وكلما هدأت قليلاً عادت الذكريات
لتؤلمها من جديد.

وبسبب نصائح الأطباء، كان من
الضروري أن تحافظ هدير على
استقرار حملها، وألا تتعرض لأي
ضغوط نفسية أو مشكلات جديدة .
لكن كلما تذكرت ما حدث لوالدها،
عادت إلى البكاء والصراخ من جديد،
وكأن الجرح لا يريد أن يلتئم.

وفي وسط هذه الحالة، قاطعت
صراخها مكالمة هاتفية من زوجها في

البداية، أبعدت الهاتف عنها ولم
ترغب في الرد، ولكن مع استمرار
الاتصال، قررت أن تجيب.

وخلال المكالمة، أخبرها زوجها بأنها لا
يجب أن تعود إلى المنزل مرة أخرى،
لأنه لن يدفع الإيجار من جديد. وقال
لها إن عليها أن تعيش في منزل والدها
بعد وفاته، بدلاً من أن تذهب إلى
منزل آخر ويتحمل هو إيجاره .

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل
أخبرها أيضًا أنه أخرج جميع أغراضها

من الشقة ووضعها في الشارع، وقال
لها:

لقد أفرغت الشقة بالكامل وسلمتها
للمالك، وجميع أغراضك الشخصية
أصبحت الآن في الشارع. إذا كنتِ
تريدنها، فأحضري سيارة كبيرة
وخذي كل شيء. أما إذا لم تأتِ
وتأخذي أغراضك، فمن يريد شيئًا
منها فليأخذه، لأنها كلها موجودة في
الشارع.

أما هدير، فكانت منهارة نفسيًا، ولم
تعد تريد شيئًا من هذا العالم. فقالت
بصوت مكسور وبكلمات قليلة:

لا أريد شيئًا.

فرد زوجها:

جيد أنك لا تريدن شيئًا. هكذا
أصبحت بريئًا من كل شيء، وقد
أبلغتك بالأمر، والباقي متروك لك.
ثم أغلق الهاتف.

أما هدير، فقد انتهى الأمر بالنسبة
إليها تمامًا. لم يكن لديها المال لاستئجار
سيارة تنقل بها أغراضها، ولم تكن
لديها القدرة النفسية أو الجسدية على
الذهاب وجمعها من الشارع.

كانت منهارة نفسيًا، وما زاد معاناتها
هو الجوع. أصبحت هدير مدمرة
نفسيًا، لا تملك المال ولا الطعام، ولا
تجد من يقف بجانبها.

لكنها قررت ألا تعود إلى الجوع مرة
أخرى، ولم يكن لديها مكان تلجأ إليه
سوى منزل والدها.

وكان والد هدير معروفًا بين سكان
المنطقة، فقد كان من السكان
الأصليين لها، ونشأت هدير في هذا
المكان منذ طفولتها، ولذلك كان الجميع
يعرفونها ويعرفون أسرتها.

وبدأت بعض الأفكار تراود هدير،
فقد فكرت في أن تخرج وتطلب
المساعدة من الناس، وربما تتسول

حتى تحصل على أي شيء يسد
جوعها، وحتى لا تعود هي وابنها إلى
الأيام التي لم يجدا فيها ما يأكلانه.

لكنها لم تستطع فعل ذلك؛ فلم تكن
تريد أن تجرح ذكرى والدها حتى بعد
وفاته، أو أن تظهر أمام جيرانها في
صورة لا تليق به وبما كان عليه . كما
أن كرامتها لم تكن تسمح لها بذلك.
لكن الجوع لا يرحم أحداً.

وبداً كريم يصرخ كثيراً بسبب قلة
الطعام وعدم وجود ما يأكله في المنزل .
حتى إن صراخ الطفل وصل إلى
مسمع الجيران.

وبعد وقت قصير، قامت إحدى
الجارات بإنزال طبق من الأرز
الأبيض لها.

وعندما فتحت هدير الباب، وجدت
السيدة تحمل طبق الطعام، فأخذته
منها وشكرتها.

وبعد أن أغلقت الباب، شعرت بفرحة
كبيرة. فقد كان ذلك الطبق بالنسبة
إليها كنزًا حقيقيًا وطوق نجاة قد
ينقذها هي وابنها وجنينها من الجوع
خلال الأيام القادمة.

فرحت هدير كثيرًا، بل إنها ضحكت
وهي تبكي. - فعلى الرغم من وفاة
والدها والحزن الذي يملأ قلبها،
وجدت نفسها تبتسم عندما أحضرت
لها إحدى الجارات طبقًا من الأرز.

قد يبدو الأمر بسيطًا بالنسبة إلى
الآخرين، فهو مجرد طبق من الأرز
الأبيض، لكن بالنسبة إلى هدير كان
يعني الحياة.

أعطت هدير الطعام لابنها حتى
شبع، ثم تناولت ما تبقى منه،
وحمدت الله على هذه النعمة.

وبعد ذلك، نامت هي وابنها . وحتى
أثناء نومها، كانت مشاعرها متناقضة؛
تبتسم من السعادة لأنها وجدت ما

تأكله، وتبكي من الحزن على كل ما
فقدته.

نامت هدير واستيقظت، وهي لا
تعرف ماذا يخبئ لها اليوم، ولا كيف
ستستمر حياتها في ظل كل هذه
الظروف.

وفي صباح اليوم، فوجئت بطرق على
باب منزلها.

وعندما فتحت، وجدت مجموعة من
الأشخاص التابعين لجمعية خيرية،

جاءوا إليها حاملين بعض الاحتياجات
الأساسية للمعيشة داخل صندوق
من المواد الغذائية.

لكنهم طلبوا منها أن تتصور معهم أثناء
تسليمها الصندوق، حتى يرسلوا
الصور إلى إدارة الجمعية وينشروها
على صفحاتهم في مواقع التواصل
الاجتماعي.

كان هدفهم من ذلك أن يكسبوا ثقة
المتبرعين، ويثبتوا لهم أن أموالهم تصل

بالفعل إلى المحتاجين، حتى يشجعوهم
على زيادة تبرعاتهم.

لكنهم لم يفكروا للحظة في مشاعر
الشخص الذي يقف أمامهم، ولا في
مدى صعوبة أن يجد الإنسان نفسه
مضطراً إلى الظهور في صورة تثبت
فقره واحتياجه حتى يحصل على
المساعدة.

وعلى الرغم من ذلك، كان الصندوق
الذي يحملونه يمثل لهدير أماناً غذائياً
لمدة أسبوع على الأقل.

لكن هدير رفضت التصوير، وأغلقت
الباب في وجوههم بمجرد أن علمت
أن الحصول على المساعدة مرتبط
بالتقاط الصور.

وكانت هناك جارة تراقب الموقف من
باب شقتها، فتدخلت على الفور،
وقالت للمسؤولين:

ارحموا مشاعر الناس! فالله يرى
تبرعاتكم، وهو الذي يرزقكم لتساعدوا
عباده المحتاجين. ليست الصور التي
تحرصون على التقاطها هي المهمة، بل

الأهم أن تصل المساعدة إلى
مستحقيها دون المساس بكرامتهم أو
جرح مشاعرهم.

بدأت المرأة في توبيخهم، وقالت لهم:
أتم تفعلون كل هذا من أجل الله،
وتتكفلون بمساعدة الفقراء، ولكن من
الذي يرزقكم حتى تستطيعوا مساعدة
الفقراء؟ الله هو من يرزقكم، وليس
الناس. لذلك، اطلبوا الرزق من الله
حتى تستطيعوا مساعدة عباده، ولا
تطلبوا من الناس. فمهما أعطاكم الناس،

فإن ما لديهم سينفذ، أما عطاء الله
فكبير ولا ينفذ أبدًا.

أخرج كلامها المسؤولين الموجودين،
خاصة أنهم كانوا قد أعدوا الكرتونة
بالفعل وهمّوا بالانصراف. فاعتذروا
للمرأة، وتركوا الكرتونة أمام الباب.

كانت هدير تعلم أن الكرتونة أمام
الباب، وكانت جائعة بشدة، وكذلك
ابنها، لكنها لم تفتح الباب لتأخذها؛
فقد شعرت بالإهانة مما تعرضت له،

حتى إنها تمت الموت لها ولايتها على
أن تخرج وتأخذ الكرتونة.

ظل الأمر كذلك حتى جاء المساء،
واشتد الجوع على كريم مرة أخرى،
وبدأ يصرخ من البكاء. لم تستطع
هدير تحمل دموع طفلها، فخرجت
وأخذت الكرتونة، ثم دخلت بها إلى
المنزل.

كانت محتويات الكرتونة كالتالي:

1000 جرام من السكر.

50 جرامًا من الشاي.

كيسان من مكرونة الخواتم، وزن

كل منهما 400 جرام.

1000 جرام من الأرز.

1000 جرام من الدقيق الأبيض.

500 جرام من الفول.

500 جرام من العدس.

علبة سمن.

ظرف بداخله مبلغ مالي يعادل 20
دولارًا بالعملة المحلية.

فرحت هدير وكأنها ملكة العالم بأكمله،
وشكرت الله على هذه المساعدة .
ومن شدة فرحتها، نسيت حزنها
لبعض الوقت أيضًا، واتجهت مباشرة
إلى المطبخ، وأخرجت كيسًا من
المكرونة وأعدته جيدًا، ثم تناولت
العشاء هي وابنها.

كانت هدير تدخل كل ساعة لتطمئن
على المبلغ الذي معها، وهو العشرون
دولارًا، وكأنها تمتلك كنزًا تريد أن
تحتضنه طوال الوقت. وكلما رأت
المال، ظهرت عليها سعادة غير عادية،
لمجرد أنها أصبحت تمتلك مبلغًا بسيطًا
من المال، وبعض الطعام الذي يكفيها
لمدة أسبوع.

لكن التحدي الأصعب كان ينتظرها .
فعلى الرغم من كل ما تمر به من
ظروف قاسية وتعب بسبب الحمل،

كانت تفكر في ضرورة إيجاد مصدر
دخل قبل نقاد الطعام . أرادت أن
تستغل المبلغ الذي معها في البحث
عن عمل يضمن لها ولائها قوت
يومها، ويحفظ كرامتها.

فكرت كثيرًا، لكنها لم تجد أي
مشروع تستطيع البدء فيه بهذا
المبلغ، فقررت الخروج والبحث عن
عمل . إلا أنها لم تجد مكانًا يقبل
توظيفها بسبب حملها.

وكان الطعام الذي توقعت أن ينفد
خلال سبعة أيام قد استمر معها أكثر
من خمسة عشر يومًا. وبعد ذلك،
بدأت هدير تنفق من المال الذي
معهما، وكانت تشعر بالخوف في كل
مرة تضطر فيها إلى استخدامه،
وترتعب من فكرة نفاذه وعودتها مرة
أخرى إلى الجوع.

لكن، ولحسن الحظ، وجدت هدير
فرصة عمل داخل مصنع للملابس .
وكان صاحب المصنع على علم

بظروفها، فوافق على تشغيلها براتب
جيد يكفي احتياجاتها واحتياجات
ابنها، بل ويتبقى منه جزء تستطيع
ادخاره.

لكن المشكلة التي واجهت هدير أنها
كانت قد دخلت الشهر الخامس من
الحمل، وهذا يعني أنها لن تستطيع
العمل سوى أربعة أشهر فقط. وكانت
تريد أن تجمع مبلغًا يكفي لتكاليف
الولادة، ويوفر لها الأمان بعد الولادة،

حتى تستطيع رعاية ابنها والجنين الذي
تحمله.

حسبت المبلغ الذي يمكنها ادخاره كل
شهر خلال الأشهر الأربعة، فوجدت
أنه لن يكون كافيًا لتغطية تكاليف
الولادة وتوفير الأمان لها ولابنها
وطفلها القادم.

لذلك، قررت هدير أن تعمل ساعات
أطول، وكان مالك

المصنع لا يريد أن يجعلها تعمل
ساعات إضافية، لكنها أصرت على
ذلك حتى تستطيع جمع المزيد من
المال.

فكانت هدير سببًا في زيادة الرزق
لصاحب المصنع؛ فبعد أن بدأت
العمل لديه، زاد الطلب على منتجات
المصنع بشكل ملحوظ، حتى إن
صاحب العمل كان يقول لها دائماً:
أنتي سبب رزق كبير لنا.

ولم يقتصر الأمر على ذلك، فقد
لاحظ زملاؤها في العمل زيادة
الطلب على الملابس، مما جعل الجميع
يعملون ساعات إضافية، وقرر
صاحب المصنع رفع رواتب العاملين
لديه.

أما هدير، فكان صاحب المصنع يميزها
عن بقية زملائها، ليس بسبب
ظروفها وحدها، بل لأنه كان يرى أن
الله ساق إليه رزقًا من حيث لا
يحتسب، منذ أن بدأت العمل معه.

استمرت هدير في العمل حتى الشهر
الثامن من الحمل، واستطاعت جمع
مبلغ يكفي لتكاليف ولادتها، ويوفر لها
احتياجاتها بعد الولادة، كما يكفي
لإطعامها هي وابنها لمدة ثلاثة أشهر.
وعندما قررت الحصول على إجازة
من العمل حتى تتمكن من الولادة
ورعاية طفلها بعد ذلك، كافأها
صاحب المصنع بمبلغ مالي جيد، زاد
من شعورها بالأمان.

أنجبت هدير ابنتها، وأطلقت عليها

اسم فرح، وكانت تقول:

كنت أطلب من الله الفرح، فأرسل

لي ابنتي فرح.

علم زوجها بولادتها، وتم تسجيل فرح

باسم والدها، وهو ما دفعه إلى رفع

دعوى قضائية ضد هدير، متهمًا إياها

بتسجيل طفلة باسمه رغم ادعائه أنها

ليست ابنته.

وبناءً على ذلك، تم القبض على
هدير. وعندما حدث ذلك، بدأ
الجيران يتساءلون عن سبب القبض
عليها، لكن الأمر لم يتوقف عند هذا
الحد؛ فقد ذهب زوجها إلى المنطقة
التي تسكن فيها، ورفع صوته أمام
الجميع قائلاً:

المرأة التي كانت تسكن معكم أنجبت
طفلة من عشيقها وسجلتها باسمي، وأنا
لا أعترف بهذه الطفلة. لقد تم القبض
عليها حتى تنال جزاءها، وأقول هذا

أمامكم جميعًا حتى يعرف الناس
الحقيقة. هدير ذهبت مع عشيقها
وأنجبت منه طفلة، ثم أرادت
تسجيلها باسمي، وأنا لن أتحمّل
أخطاء أحد.

وعندما علمت هدير بما قاله، عادت
إلى منزلها وهي خائفة للغاية من
نظرات الناس، ولم تعد تجرؤ على رفع
وجهها في وجه أي شخص من
الجيران، رغم أنها خرجت من الحبس
في اليوم التالي.

كان كريم في ذلك الوقت يبلغ من
العمر سنتين ونصف، وشعرت هدير
أنها لن تستطيع مواجهة الجيران بعد
هذه الفضيحة التي تسبب فيها زوجها .
لذلك قررت بيع منزل والدها ومغادرة
المنطقة بالكامل، والانتقال إلى مكان
جديد لا يعرفها فيه أحد.

ورغم أن قيمة المنزل كانت تتجاوز
عشرة آلاف دولار بالعملة المحلية،
وافقت هدير على بيعه مقابل سبعة
آلاف دولار فقط.

وبعد إتمام البيع، طلبت من المشتري
أن يسمح لها بالبقاء في المنزل أقل من
أسبوع، حتى تتمكن من العثور على
مكان آخر تنتقل إليه.

وخلال ذلك الأسبوع، وجدت شقة
في الطابق الأرضي داخل عمارة قديمة .
كانت الشقة تتكون من غرفة واحدة
وصالة ومطبخ وحمام، وكان إيجارها
الشهري أربعين دولارًا بالعملة المحلية.
استأجرت هدير الشقة لمدة خمس
سنوات، ووضعت المبلغ الذي

حصلت عليه من بيع المنزل في
حساب يدر عليها عائداً شهرياً قدره
115 دولاراً بالعملة المحلية.

وبعد دفع الإيجار، الذي يبلغ أربعين
دولاراً، كان يتبقى معها خمسة
وسبعون دولاراً شهرياً. وكان هذا
المبلغ بالنسبة إليها كنزاً حقيقياً، يكفي
لتغطية احتياجاتها واحتياجات طفلها.

وفي الوقت نفسه، أجرت هدير
تحليل الحمض النووي (DNA)، بناءً
على طلب زوجها في التحقيقات،

وأثبتت النتيجة أن الطفلة فرح ابنته
بالفعل.

عندها أدرك الزوج أن هدير أصبح
من حقها أن ترفع عليه دعوى قضائية
بتهمة التشهير والإساءة إلى سمعتها،
فشعر بالخوف من ذلك، وقرر أن
يعرض عليها العودة للعيش معه مرة
أخرى، وكأن شيئاً لم يحدث.

لكن هدير رفضت عرضه تمامًا،
وقالت له إنها لم تعد بحاجة إليه.

ثم واجهته بالحقيقة قائلة:

عندما كنت أحتاج إلى وجودك
بجانبي، حاولت التواصل معك أكثر
من مرة، لكنك لم تكن موجودًا في
أصعب ظروفني . تركتني وحيدة، ولم
أنس الجوع الذي عشته، ولا الإهانة
التي تعرضت لها أمام الجميع عندما
جئت إلى المنطقة ورفعت صوتك
متهماً إياي بאתهامات باطلة أمام
الجيران . لم أنس أي شيء من ذلك.

وأمام الجميع

رفعت هدير يدها وصفعت زوجها
بقوة، حتى إن الصفعة تركت أثرها
على وجهه. جعلته يتمنى لو أن الأرض
تنشق وتبتلعه. ونظر إلى الجميع الذين
شاهدوا ما حدث، وشعر وكأن مياهًا
باردة سقطت عليه فجأة، ثم غادر
المكان مسرعًا.

أما هدير، فقد غادرت وهي تشعر
ببعض الراحة بسبب ما فعلته.

ذهب زوجها إلى منزل والده غاضبًا
بشدة مما حدث، لكنه لم يكن يملك

شيئًا يفعلاه . وبعد يومين ، لم يستطع
نسيان تلك الصفعة ، فقرر البحث
عن المكان الذي تعيش فيه هدير ،
وأخذ الطفلين منها .

وخلال أسبوع ، تمكن من معرفة
مكان سكنها . وعندما رآته هدير ،
أسرعت إلى مالك العقار الذي تقيم
فيه ، وأخبرته بكل ما حدث بينها وبين
زوجها ، وأنه يقف الآن أمام العقار .
توسلت إليه أن يقف بجانبها ،

وأقسمت عليه بالله أن يساعدها،
لأنها لا تجد شخصًا يحميها منه.

وبمجرد أن سمع الرجل كلامها، لم يتردد
لحظة . وخلال دقائق، فوجئ والد
كريم بصفعة أخرى أعادت إليه وعيه،
وكأنها أعادت ضبطه من جديد!

لكن صاحب العقار لم يكتفِ بذلك،
بل انهال عليه بالضرب أمام الجميع .
بدا وكأنه وجد في والد كريم الشخص
الذي يفرغ فيه كل غضبه، فلم يرحمه

حتى تجمع الأهالي حولهما، وتمكنوا
بصعوبة من إبعاده عنه.

ولم يتركه الأهالي بعد ذلك، بل
اصطحبوه إلى قسم الشرطة، وحرروا
ضده محضراً بتهمة السرقة.

وكان الهدف من تحرير المحضر هو
منعه من العودة مرة أخرى إلى ذلك
المكان، حتى تشعر هدير بالأمان.
أما والد كريم، فبعد كل ذلك الضرب،
لم يفكر في العودة إلى المكان مرة

أخرى، بل ندم على مجرد التفكير في
الذهاب إلى منزل هدير.

قضى والد كريم الليل كله في قسم
الشرطة، وفي الصباح أُسقطت عنه
تهمة السرقة، لأن زوجته كانت تقيم
داخل المنزل . لكن هدير توجهت إلى
الجهات المختصة، وطلبت إصدار أمر
بعدم التعرض لها مرة أخرى، موضحة
أن هناك خلافات بينها وبين زوجها،
وأنها تنوي رفع دعوى قضائية

للافتصال عنه، وأنه يتعرض لها
باستمرار ويهددها.

وبالفعل، صدر أمر بعدم التعرض
لها، وبذلك لم يعد والد كريم قادرًا على
الاقتراب من هدير مرة أخرى.
وحتى من دون هذا الأمر، كان ما
حدث كافيًا لجعله لا يفكر في العودة
إلى ذلك المكان.

وخرج والد كريم من قسم الشرطة،
وتوجه إلى منزل والده بسرعة، بينما
عادت هدير إلى منزلها، وقدمت

الشكر لصاحب العقار على شهامته
ووقوفه بجانبها، مؤكدة له أنها لن
تنسى هذا الموقف النبيل أبدًا.

وعاشت هدير حياة هادئة وسعيدة
مع ابنها وابنتها. كانت تعتمد على العائد
الشهري من المبلغ الذي تمتلكه،
فتدفع منه الإيجار والمصاريف، كما
كانت تدخر جزءًا من هذا العائد .
وهكذا عاشت حياة بسيطة
ومستقرة، حتى انتهت مدة الوديعة،

التي كانت تبلغ عامًا ونصف ، وعاد
المبلغ إلى حسابها.

ذهبت هدير إلى البنك لتجديد
الوديعة، لكنها فوجئت بأن المبلغ غير
موجود في حسابها . واتضح أن
زوجها استخدم توكيلاً قديماً كان
يمتلكه، وسحب المبلغ بالكامل للضغط
عليها حتى تعود إليه مرة أخرى.

حررت هدير محضرًا بالواقعة، لكن لم
يتم اخذ أي إجراءات ضده؛ لأنها لم
تكن قد انفصلت عنه رسميًا حتى

ذلك الوقت . وبذلك كان موقف
الزوج القانوني سليماً، وكان التوكيل لا
يزال سارياً، فسقطت الدعوى.

ندمت هدير لأنها لم تتخذ قرار
الطلاق من ذلك الرجل في وقت
سابق؛ فلو كانت قد انفصلت عنه
رسمياً، لربما اختلف الأمر . لكنها لم
تكن تمتلك مستنداً يثبت انتهاء
العلاقة الزوجية، وأمام القانون كانت
لا تزال زوجته، ولذلك جميع

الإجراءات التي قام بها سليمة من
الناحية القانونية.

لكن هدير لم تستسلم. ذهبت إلى
أحد المحامين، وأعطته جزءًا من
الأموال التي كانت تدخرها من العائد
الشهري، على أمل أن يتمكن من
استرداد أموالها، لكنه لم يستطع فعل
شيء.

حسبت هدير المبلغ المتبقي معها،
فوجدت أنه لن يكفيها مدة طويلة .
لذلك تواصلت مع زوجها وطلبت منه

إعادة الأموال إليها، لكنه أصر على أن
تعود إليه مرة أخرى.

ليعيد إليها أموالها

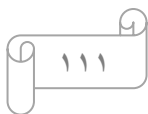
عندما سمعت هدير رفعت وجهها إلى
السما و قالت:

أنت تعلم كل ما أمر به، وأنت قادر
على كل شيء.

وبدأت هدير تبحث عن عمل، فقد
قررت ألا تعود إلى زوجها مرة أخرى،
حتى لو كلفها ذلك حياتها. كما أنها لم

تكن تريد العودة إلى الجوع من
جديد؛ فالجوع بالنسبة إليها كان موتًا
آخر.

وعندما علم صاحب العقار الذي
تسكن فيه بظروفها، تحدث مع أحد
أصدقائه، وأخبره أن هدير لديها خبرة
سابقة في مجال الملابس. وكان
صديقه يمتلك بالفعل محلًا لبيع
الملابس، ويتمتع بسمعة طيبة، وكان
يبحث عن فتاة للعمل معه.



وافق الرجل على تشغيل هدير،
ومنذ اليوم الأول تعامل معها كأنها
ابنته، وليس مجرد عاملة لديه. كان
متأثراً كثيراً بما مرت به، وحاول
مساعدها والتخفيف عنها دون أن
تشعر بأنه يشفق عليها. وكان يكافئها
بمبالغ إضافية عندما يحقق المحل
مبيعات كثيراً.

كان العمل مريحاً بالنسبة إلى هدير،
وكانت تشعر بالارتياح في التعامل

معه، لكن حالتها النفسية ظلت
متعبة بسبب ما مرت به من أحداث.

وكان أكثر ما يزعجها أنها تضطر إلى
ترك طفلها وحدها في المنزل أثناء
العمل، وكان هذا الأمر يسبب لها
توترًا وقلقًا مستمرين، حتى إنها كانت
ترفع صوتها على صاحب العمل أحيانًا
بسبب شدة الضغط النفسي الذي
تعيشه.

استمرت هدير في العمل معه لمدة عام
كامل، ثم تركت العمل وقررت التركيز

على رعاية طفلها. لكن مع تزايد
الضغوط المادية، اضطرت إلى التفكير
في العودة إلى العمل مرة أخرى.
وبعد محاولات كثيرة من صاحب
العقار لإقناع صديقه، وافق الرجل
على إعادة هدير إلى العمل معه .
واستمرت هذه المرة لمدة ستة أشهر.
وفي أحد الأيام، ودون أي مقدمات،
تركت هدير العمل وعادت إلى المنزل
وهي محطمة نفسيًا. دون سبب فلم
يتحدث معها أحد بطريقة سيئة، ولم

تتعرض لأي إهانة، لكن التوتر
المستمر والتفكير المتواصل في الماضي
جعلها تصل إلى مرحلة لم تعد قادرة
فيها على تحمل أي شيء.

جلست في المنزل تصرخ من شدة
الألم الداخلي، فقد كانت تشعر بأنها
فتاة وحيدة تواجه العالم كله كل يوم،
وتحارب من أجل توفير الطعام
والرعاية لطفلها.

أصبحت حالتها النفسية غير
مستقرة، وكانت كلما رأت زوجين

يعيشان في سعادة مع أطفالهما،
شعرت بالنقص، وكأنها فشلت في
تكوين أسرة مستقرة.

دخلت هدير في حالة اكتئاب
شديدة، ووصل بها الألم إلى التفكير
في الانتحار. لكن أكثر ما كان يمنعها
من الإقدام على ذلك هو خوفها من
ترك طفلها وحدها في هذه الحياة.

وفي ذلك اليوم، قررت أن تحتضن
طفلها وتقبلها كثيرًا. فكانت تصرخ

من شدة الألم الذي بداخلها، ثم نامت
والدموع تتساقط من عينيها.

وعندما جاء الصباح، قررت أن تفعل
أي شيء تستطيع من خلاله توفير
احتياجات المنزل، دون أن تضطر إلى
الابتعاد عن طفلها.

كان معها مبلغ بسيط استطاعت
ادخاره طوال فترة عملها، فنزلت إلى
السوق واشترت بعض الخضراوات
والفاكهة لتبيعها، وتأكل هي وطفلها
من البضاعة التي تشتريها.

واستغلت أن شقتها تقع في الطابق
الأرضي، ووضعت الخضراوات أمام
المنزل، وبدأت البيع من هناك.

استمر هذا الوضع عدة أيام، لكنه
تسبب في مضايقات للجيران؛ لأن
الخضراوات كانت تعيق حركة الدخول
إلى العقار والخروج منه. فاشتكى
سكان العقار إلى مالك العقار من
هدير، مؤكدين أن تصرفاتها أصبحت
أمراً لا يستطيعون تحمّله. ومع تكرار
الشكاوى، قرر مالك العقار التدخل

وهدها بطردها من الشقة إذا لم
تتوقف عن ذلك، موضحًا أنه استأجر
لها الشقة للسكن، وليس للممارسة
التجارة فيها.

دخلت هدير إلى المنزل مسرعة،
وانفجرت في البكاء؛ فقد كانت تعلم
أنها لا تملك سندًا أو ظهرًا في هذه
الحياة، وأنها أصبحت وحدها في
مواجهة كل هذه الظروف.

وعندما رأى كريم أمه تبكي، خرج
مسرعًا نحو الرجل، وبدأ يضربه.

كان الرجل نفسه الذي وقف بجانب
هدير في محنتها السابقة، لكنه وجد
أمامه الآن طفلاً صغيراً يبكي ويحاول
ضربه لأنه تسبب في بكاء أمه.

لم يكن كريم يفهم تفاصيل ما يحدث،
لكنه لم يحتمل رؤية أمه تبكي، أو
سماع رجل يرفع صوته عليها، رغم
صغر سنه. لذلك أخذ يضرب الرجل
بكل ما يملك من قوة، بينما الرجل
صفع كريم بقوة. وكانت الصدمة

الكبرى لهدير عندما رأت ابنها يُصفع
أمام عينيها للمرة الأولى.

أخذت هدير تصرخ؛ لأنها لم تستطع
فعل أي شيء. كانت تريد أن تذهب
إليه وتنتقم منه، فابنها الصغير كريم
أمامها، وقد تعرض للضرب، وهي
عاجزة عن حمايته. شعرت بضعف
أكبر مما شعرت به من قبل.

ودون تردد، دخلت إلى المنزل،
وجمعت ملابسها وملابس طفلها، ثم
خرجت بهما إلى خارج المنطقة التي

يسكنون فيها. واحتضنت كريم،
ومسحت دموعه، ثم عادت وحدها
إلى الشقة، وقد استقر في داخلها
قرار الانتقام. لم تعد تفكر في عواقب
ما ستفعله، فقد كانت صورة الصفة
التي تلقاها ابنها تطاردها، وشعورها
بالعجز عن حمايته يمزقها من الداخل.
فتحت صمام الغاز، وانتظرت حتى
امتلاّت الشقة به، ثم أشعلت النار.
لم يكن ما تفعله مجرد غضب عابر، بل
كان انفجارًا لكل ما تراكم داخلها من

قهر وألم، ورغبة في الانتقام من مد
يده على طفلها.

لكن النيران لم تبقَ حبيسة شقتها، بل
سرعان ما امتدت إلى أرجاء العقار
بأكمله، وأخذت تلتهم المكان، بينما عجز
الموجودون عن السيطرة عليها في
البداية. كانت هدير تنظر إلى النار،
لكن النار التي اشتعلت بداخلها لم
تهدأ، كلما تذكرت مشهد الرجل وهو
يضرب ابنها أمام عينيها.

تركت هدير المنزل يحترق، وتركت
خلفها الخضراوات والفاكهة وكل ما
كانت تملكه، ثم أخذت طفلها
وملابسها وغادرت المدينة بالكامل.

استقرت في فندق بسيط يوفر غرفاً
للإقامة فقط، دون طعام أو شراب .
كانت الغرفة تحتوي على ثلاثة أسرة
وحمام، وكان المبلغ الذي تملكه هدير
يكفيها للإقامة في ذلك المكان لمدة 62
يوماً كاملة.

دفعت هدير إيجار شهر كامل،
وحصلت على الغرفة. كان طفلاها
سعيدين بالمكان الجديد، لكن هدير
أخذت كريم بين ذراعيها، وأخذت
تقبّل خده الذي تلقى الصفعة، ثم
سألته:

هل يؤلمك؟

فأجابها:

لا.

وكان كريم سعيدًا بالغرفة التي
سيعيش فيها؛ فقد كانت تحتوي على
نافذة مرتفعة تطل على شارع كبير،
وهو ما جعلها أفضل كثيرًا في نظر
الطفلين من الشقة القديمة التي كانت
تقع في الطابق الأرضي.

لكن هدير لم تستطع نسيان الصفحة
التي وجهها صاحب العقار إلى كريم،
رغم الحريق الذي التهم العقار بالكامل.
وفي الوقت نفسه، حرر مالك العقار
محضرًا ضد هدير، واتهمها بأنها

المتسببة في الحريق. وبدأت السلطات
في البحث عنها في المدينة، لكن
هدير كانت قد اتخذت قرارها بمغادرة
المدينة بالكامل.

وبعد أن تأكدت من نوم طفلها،
نزلت إلى أقرب محل لبيع سرائح
الهواتف المحمولة، واشترت شريحة
جديدة غير مسجلة، وتخلصت من
الشريحة القديمة حتى لا يتمكن أحد
من الوصول إليها. كما اشترت بعض

الطعام لطفليها، وأحضرت لهما بعض
الحلوى، ثم عادت إلى الفندق.

فتحت النافذة، وحاولت النوم، لكنها
لم تستطع النوم بصورة متواصلة .
فكلما أغمضت عينيها، رأت الرجل
وهو يضرب ابنها أمامها، فتستيقظ
مفزوعة.

كانت مشاعرها متضاربة إلى أبعد
حد؛ فقد كانت تريد الانتقام، وتشعر
بالحزن على كل ما حدث لها، وفي
الوقت نفسه كانت تفكر في البحث

عن طريق جديد تستطيع من خلاله
توفير قوت يومها. وكان بداخلها أيضًا
شعور بالسعادة لأنها انتقلت إلى
مكان جديد لا يعرفها فيه أحد، ولا
يستطيع أحد الوصول إليها أو إلى
طفلها، وشعرت أنها أصبحت في أمان.
استيقظت هدير مبكرا، ونظرت إلى
شروق الشمس، وظلت تتأمل
المشهد، ثم قالت لنفسها:

لم أتمناه يوما أن أعيش حياة
استثنائية. لم أتمناه أن أصبح أغنى

نساء العالم، ولا أن أعيش في قصر
تحيط به الخدم والحراس. كانت
أحلامي أبسط من ذلك بكثير، كل
ما كنت أتمناه هو أن أعيش حياة
هادئة مع رجل يستطيع الحفاظ عليّ
وعلى أطفالي. أما الآن، فكل ما أتمناه
هو أن أحصل على فرصة عمل.

وبعد ذلك الحوار، قررت هدير ان
تنزل يوميًا للبحث عن عمل. وعلى
الرغم من كل ما مرت به، فإنها كانت
تتمتع بمظهر جميل، وهذا ما ساعدها،

بعد أيام من البحث، الحصول على
فرصة عمل داخل شركة متخصصة
في الأوراق المالية والاستثمارات
المتعددة وتقديم القروض، وكانت
الشركة مرخصة.

وعملت هدير في قسم الاستقبال،
وكان راتبها جيدًا جدًا، فشعرت
بسعادة كبيرة بهذه الفرصة الجديدة.

وللأسف، انتهى الشهر الذي

تقيم داخل الفندق به، لكنها لم تجدد
إقامتها إلا لمدة عشرة أيام فقط، حتى
تتمكن من العثور على شقة في منطقة
متميزة. وللأسف بعد بحثٍ طويل، لم
تجد هدير أمامها سوى شقة تقع في
الطابق الأخير فوق سطح المبنى،
وهو ما كان مرهقًا لها، لكن أطفالها
كانوا سعداء بارتفاع المكان، وبوجود
مساحة واسعة أمام الشقة
يستطيعون اللعب فيها.

فاستأجرت هدير الشقة بعقد إيجار
لمدة خمس سنوات.

وفي تلك الأثناء، ذهب والد كريم إلى
المنزل الذي كانوا يسكنون فيه،
للاطمئنان عليهم من بعيد؛ فقد كان
ممنوعًا عليه الاقتراب من هدير
بموجب الوثيقة التي حصلت عليها .
وكان يخشى أن يلتقي بالرجل الذي
ضربه في المرة السابقة، لكنه عندما
وصل وجد المنزل محترقًا بالكامل، ولا
أحد يقيم فيه.

سأل أهالي المنطقة عن سبب
الحريق، وعن المكان الذي ذهب إليه
أبنائوه. وعندما علم صاحب المنزل أن
هناك شخصًا يسأل عن هدير
وأطفالها، أسرع إلى المكان، واعتدى
عليه مرة أخرى، ثم اصطحبه إلى
مركز الشرطة.

ووجه صاحب المنزل إلى والد كريم
تهمة المسؤولية عن الحريق الذي
تسببت فيه هدير، باعتباره المسؤول
الأول عن زوجته.

ولم يكن والد كريم يعلم شيئاً عما
فعلته زوجته، ولو كان يعلم لما ذهب
إلى هناك من الأساس.

وألقي القبض عليه وسيلة للضغط
على هدير حتى تسلم نفسها .

ولم تكن الجهات المختصة تعلم أن
هدير ووالد كريم منفصلان، لأن
الأوراق المقدمة إليها كانت تثبت أنهما
لا يزالان متزوجين. لذلك قررت
احتجازه حتى تحضر زوجته وتسلم
نفسها، وتحمل عقوبة ما فعلته.

لم تكن هدير تعلم شيئًا عما حدث،
ولو علمت لكانت سعيدة للغاية؛ فهي
لم تكن تنوي تسليم نفسها مهما حدث،
حتى لو كان ذلك على حساب
حياتها، لأنها أرادت أن ينال زوجها
العقاب الذي يستحقه.

أما والد الزوج، فعندما علم أن ابنه
محتجز في قسم الشرطة، ارتعشت
يدها واشتد خوفه عليه. أسرع إلى
القسم، وظل يتوسل إلى الجميع
لإخراج ابنه، لكنه علم أن صاحب

المنزل يجب أن يتنازل عن الدعوى
حتى يتمكن ابنه من الخروج.

لم يتراجع والد الزوج، وذهب إلى
صاحب المنزل وهو يبكي ويتوسل
إليه، حتى إنه انحنى على الأرض
وقبل قدمه، راجيًا إياه أن يتنازل عن
الدعوى ويسمح بالإفراج عن ابنه.

لكن صاحب المنزل أهان الرجل، ولم
يُبدِ أي تعاطف معه، وكأنه اعتاد
رؤية مثل هذه المواقف. فقد كان يرى

أن التوسل بهذه الطريقة لا يليق
بصاحب كرامة.

قال له صاحب المنزل:

أين كرامتك؟ لقد أهنتك، وما زلت
تصر على التوسل إليّ! لو كانت لديك
كرامة وتعاملت معي كرجل، لكنت
عفوت عن ابنك لوجه الله. لكنك
عديم الكرامة، وابنك عديم الرجولة.
لن أتنازل أبدًا؛ فالعفو عن أمثالك
رحمة، والرحمة للرجال فقط.

فازداد الرجل بكاءً وصراخًا أمامه ،
فقال له صاحب المنزل:

تحمّلوا مسؤولية ما حدث، وأصلحوا
المنزل، أو ادفعوا المبلغ اللازم
لإصلاحه، وعندها سأتنازل عن
الدعوى.

وافق والد الزوج على الدفع، رغم أن
المبلغ كان كبيرًا للغاية. وبعد أن دفع،
تنازل صاحب المنزل عن الدعوى،
وأُخلي سبيل والد كريم.

لكن صاحب المنزل لم يكن يريد المال
وحده، بل أراد أن يلقّهم درسًا في
الحياة. فأمسك بهما، وعنّفهما بشدة
على تصرفاتهما، وقال لهما لا يستحقان
الحياة، وإن الحياة للرجال فقط، وإن
وجود أمثالهما عبء على المجتمع، ولولا
القانون لما جعلتكم أحياء ولو لثانية
واحدة.

ثم نصح والد الزوج قائلاً:

يجب أن تكون لك كرامة .كرامتك في
هذه الحياة تساوي الكثير، ومن دونها
لن يحترمك أحد.

والتفت إلى الزوج وقال:
كن رجلاً مسؤولاً، وتحمل عواقب
أفعالك.

ثم أضاف:

كلامي أكبر من أن أوجه إليكما،
لكنني أقدم لكما هذه النصيحة
وأحتسب أجرها عند الله.

وتركها وانصرف.

بعد ذلك، ظل والد الزوج يوبخ ابنه
بسبب ما فعله زوجته، وبسبب كل
ما تسبب فيه من مشكل لهما. وكان
الزوج يريد تقديم بلاغ باختفاء أبنائه،
لكن لم يكن لديه دليل على اختفائهم؛
فالأطفال كانوا مع والديهم، وهذا لا
يُعد اختفاءً.

لم يهتم أحد ببلاغه، كما واصل والده
توبيخه، بعدما رفضت الجهات المختصة
بلاغ الاختفاء. فعاد الأب وصراخ

في وجه ابنه، وقال له بصوت

غاضب:

ألم أقل لك ألا تتزوج تلك الفتاة؟

إنها لا تشبهنا، ولا تستحقك.

أترى ما فعلته بك؟

كان ولدٌ كريم يسمع، ولم يُدِ أي

مبالاة بكلام والده.

وقد سمع أحد الأشخاص حديث

الأب مع ابنه، وعرف ما حدث لهما،

فتطوع بالتدخل وقال لهما:

ملعون من أنهى زمن العبودية !فأنت
وابنك لا تستحقان أن تعيشان في
حرية. لا أعلم من هي المرأة التي
تزوجت رجلاً مثلك، وعانت كل
هذه المعاناة، ثم أنجبت منك طفلاً
يشبهك في تصرفاتك.

الأفضل لكما أن تذهبا إلى منزليكما
وآلا تخرجا منها أبداً؛ فأمثالكما لا
يصلحون للمشاركة في المجتمع.
ثم انصرف الرجل وهو يستغفر ربه.

أما ولّد كريم ووالده، فتصرفا وكأنهما لم
يسمعا شيئاً، ولم يتأثرا بما قيل لهما .
وبعد كل ذلك، وذهبان وعادا إلى
المنزل لتناول العشاء.

أما هدير، فقد بدأت الحياة تزدهر
في وجهها من جديد. وبدأت تحوّل
سطح المبنى الذي تسكن فيه إلى
جنة صغيرة. كان أطفالها يلعبون
طوال الوقت، وهي مطمئنة عليهم .
وكانت تعمل، وعندما تعود إلى المنزل
تجد أن الأطفال قد انتهوا من اللعب،

فتأخذهم في أحضانها، وتُعد لهم
الطعام، وتحكي لهم القصص. كانت
تمنحهم حنان العالم كله، وكأنها تمنح
أبناءها كل الحنان الذي كانت تتمنى
أن تحصل عليه.

لكن جاء اليوم الذي التحق فيه كريم
بالمدرسة.

فقد قدمت له هدير في مدرسة
حكومية داخل المنطقة، ومع بداية
العام الدراسي، أصبحت تأخذه كل

صباح إلى المدرسة، ثم تعود
لاصطحابه عند رجوعها من العمل.
كان دخلها يغطي مصروفات المنزل
والدراسة والطعام، وكل ما يحتاجون
إليه ليعيشوا حياة كريمة.

لكن فرح واجهت بعض الصعوبات؛
فشقيقها الذي اعتادت اللعب معه لم
يعد موجودًا معها طوال اليوم،
وأصبحت تخاف أحيانًا من البقاء
وحدها في المنزل. ومع ذلك، كانت
تطمئن إلى أن والدتها ستعود إليها،

وعندما يرجع كريم من المدرسة، كان
يلعب معها كثيراً ليعوضها عن غيابه.

أما كريم، فقد بدأ يلاحظ أن كل
طفل يأتي والده لاصطحابه إلى
المدرسة، ثم يعود ليأخذه في نهاية
اليوم، بينما كانت والدته هي التي تقوم
بكل ذلك معه.

وفي أحد الأيام، سأل أمه:

لماذا يا أمي ليس لديّ أب مثل كل
أصدقائي؟

أجابته هدير:

بل لديك أب يا كريم، لكنه ليس
موجودًا معنا الآن.

فسألها:

وأين هو الآن؟ ولماذا لا يجلس معنا؟

أجابته:

لأنه يعيش في مكان بعيد جدًا.

ثم سألها كريم سؤالًا مؤثرًا:

هل أبي يحبنا؟

ردت هدير:

نعم، أبيك يحبك كثيرًا.

وببراءة الأطفال، سألتها مرة أخرى:

فلماذا لا يأتي ليلعب معنا، ويأخذني

إلى المدرسة مثل باقي الآباء؟

كانت كلمات كريم تمزق قلب هدير

من الداخل، فلم تستطع تحمل المزيد،

فقالت له:

والدك يحبك يا كريم، وسوف يأتي

قريبًا، ويذهب معك إلى المدرسة.

فرح كريم عندما سمع ذلك، وأصبح
ينتظر هذا اليوم بشوق. وكان يسأل
والدته باستمرار عن موعد مجيء
والده، وكانت هدير تصبره دائماً وتقول
له:

قريباً يا حبيبي.

حتى جاء يوم ظهر فيه والده من
جديد عن طريق المدرسة، بعدما
تمكن من معرفة مكان سكن هدير .
وعندما رآته، ارتعبت، فقد كان يريد

التحدث معها، لكنها رفضت،
وأخذت ابنها وغادرت المكان.

بدأت هدير تفكر في الرحيل عن
تلك المنطقة، بعدما علم زوجها بمكان
إقامتها. وعاشت في توتر مستمر،
خائفة من أن يأتي زوجها ويأخذ
الأطفال منها، فتجد نفسها وحيدة من
جديد.

لذلك استعجلت قرار الرحيل .
وعندما انتهى العام الدراسي، أخذت
ملف كريم من المدرسة، وقدمت

استقالتها من العمل، ثم خرجت مرة
أخرى لتواجه مصيرها، دون أن
تعرف إلى أين ستذهب.

كانت هدير تريد الهروب من زوجها،
لكنها لم تكن تعرف إلى أين تهرب.
واكتشفت أنها لا تريد الهروب من
زوجها وحده،

بل كانت تريد الهروب من نفسها،
ومن الماضي والذكريات الأليمة التي
كانت تتذكرها كلما رأت زوجها.

فكرت هدير كثيرًا، حتى إنها توقفت
فجأة أثناء سيرها مع أبنائها، وكانت
تحمل الحقائب الخاصة بهم. ومن شدة
التفكير والتوتر، فقدت وعيها.

وبعد ساعات

استيقظت في المستشفى، فلم تجد
أبنائها، ولم تكن تعلم كيف وصلت
إلى هناك. فخرجت هدير من
المستشفى وهي تصرخ وتنادي على
طفليها، وتبحث عنهما في كل مكان،
لكنها لم تجدهما

لكنها وجدت رسالة تركها لها والد كريم
في جيبها .قرأتها، وعرفت منها مكان
وجود أبنائها، فتوجهت إلى منزل والد
زوجها لتأخذهما وتغادر.

وعندما وصلت إلى المنزل، دار الحوار
التالي:

جدّ الأطفال:

ماذا تريدین ؟

هدير:

جئت لأخذ أبنائي وارحل.

جدّ الأطفال:

هؤلاء ليسوا أبنائك، وأتني ليست أمّ.

تركت أبنائك في الشارع، فلا

تستحقين أن تجلسي معهم مرة

أخرى. لن اعطيك إياهم. وأنا لا أعلم

كيف وافقت على ارتباط ابني بامرأة

مستهترة مثلك؛ فأنت لست من

مستوانا.

هدير:

أنا لست مستهترة، ولا تجعلني أفتح
الحديث عن الماضي. ابنك كان يشك
في أن ابنته ليست ابنته. وأنا لا أريد
الحديث عن الماضي، بل جئت لأخذ
أبنائي بهدوء ورحل. وإذا كنت لا
تتذكر، فابنك سرق مني كل أمواله.

جدّ الأطفال:

ابني ليس سارقًا. أنتِ امرأة غير
مؤدبة، وفشل والداك في تربيته.

هدير:

لا تذكر أبي! أنت وابنك وعائلتك
جميعًا لا تساوون حذاء أبي. رحم الله
أبي، فلو كان موجودًا لما استطعت
أنت وابنك أن تفعلوا بي كل هذا،
لكنه تركني ورحل.

والد كريم:

احترمي أبي يا هدير، فهو في مقام
عمك.

هدير:

ما دمت موجودًا في المنزل، فلماذا لم

تفتح لي الباب ؟ هل خفت واختبأت
داخل غرفتك، أم كنت في الحمام
خوفًا مما قد أفعله بك ؟ أريد كريم
وفرح، وسأرحل.

جدّ الأطفال:

أبناؤك لن يخرجوا من منزلي، حتى لو
كلفني الأمر حياتي.

هدير:

كما تشاء، وليس لديّ مانع من إنهاء
حياتك الآن.

وانقضت هدير على جدّ الأطفال
وزوجها، واعتدت عليهما بالضرب .
وارتفع صوتها حتى تجمع سكان المنطقة
على صراخها، فوجدوها ملقاة فوقها،
تضربهما بكل قوتها، وكأنها وحش
كاسر انقض على فريسته.

كانت تصرخ أثناء ضربهما:
لا تذكر أبي! لا تذكر اسمه أبدًا!
دخل الأهالي محاولين فض هذا
الاشتباك، لكن هدير كانت كالنار

المشتعلة، واستمرت في ضربها دون
توقف.

ومن شدة الإرهاق، والقوة التي بذلتها
في الاعتداء عليهما، فضلاً عن
الضغط النفسي الذي كانت تعيشه،
فقدت هدير وعيها مرة أخرى. ونُقلت
إلى المستشفى، لكنها هذه المرة لم
تدخل وحدها؛ فقد بلنقل معها زوجها
وجدّ الأطفال لتلقي العلاج اللازم.
واستغلت إحدى الفتيات من سكان
المنطقة الموقف، وكانت قد تعاطفت

مع حالة هدير. فبعد نقل زوجها
ووالده إلى المستشفى، أخذت
الأطفال وذهبت بهما إلى منزل خالتها،
وتركتها هناك، ثم توجهت إلى
المستشفى.

وبعد أن أفاقت هدير من فقدان
الوعي، اطمأنت الفتاة عليها،
أخبرتها بأن أبناءها بخير، وأنهما
موجودان لدى خالتها، ثم أعطتها
عنوان المنزل حتى تتمكن من الذهاب

إليهما مباشرة بعد خروجها من
المستشفى.

وتركتها الفتاة وذهبت، أما جدّ
الأطفال ، فبعد إجراء الفحوصات
الطبية، اكتشف الأطباء إصابته
بارتجاج في المخ، وجروح متفرقة في
الجسم، وكسر مضاعف في اليد
اليسرى، وشرخ في الحوض. أما
الزوج، فلم يُصب سوى ببعض
الكدمات في الوجه وآلام في الصدر.

وخلال فترة فقدان هدير اللوعي،
دخلت ثلاث مرات في نوبات تشنج
عصبي. ومع انشغال الجميع وجدت
هدير فرصة للهروب من المستشفى،
فكان خروجها سهلاً بالنسبة إليها.
ذهبت مباشرة إلى العنوان الذي
أعطته لها الفتاة. وعندما فتحت
السيدة الباب، وجدت هدير في
حالة انكسار شديد. وبصوت هادئ،
سألتها:

اين أبنائي ؟

أجابتها السيدة:

هما موجودان في أمان تفضلي.

دخلت هدير، وما إن رأت أبناءها
حتى انفجرت في البكاء، واحتضنتهما
بشدة، ثم شكرت السيدة على ما
فعلته وأرادت المغادرة.

لكن السيدة لم تتركها تغادر، وقالت
لها:

اجلسي، سأذهب وأحضر لكم
الطعام، وأنتِ استريحي بعض الوقت.

رفضت هدير بسبب، وقالت:

لا أستطيع أخشى أن يأتي زوجي
ووالد زوجي ليأخذ أبنائي مني.

طمأنتها السيدة قائلة:

لا تخافي، أتي هنا في أمان. استريحي
الآن مع أبنائك.

وتركت المرأة المنزل وذهبت لإحضار
بعض الطعام، واشترت دجاجاً، كما
أحضرت للأطفال بعض الشوكولاتة
والبسكويت والحلوى. ولم تنسَ

هدير، فأحضرت لها أيضًا ملابس
جديدة لها ولابنها.

وعندما عادت، أعطت هدير
الملابس وقالت لها:

يمكنك تغيير ملابسكم والاستحمام
حتى أجهز لكم الطعام. وبعد أن تأكلي
أنتِ وأبناؤك وتشعري بأنكِ أصبحتِ
أفضل، يمكنكِ المغادرة. وأنا أرحب
بكِ إذا أردتِ البقاء معنا هذه الليلة،
ثم تذهبين صباح الغد.

فكانت هدير خائفة للغاية، لكنها
أخذت الملابس؛ فقد كانت ملابسها
ممزقة. دخلت واستحمت، كما
استحم أبناؤها، ثم ساعدتهم على
ارتداء ملابسهم الجديدة.

بعد ذلك، جلسوا مع السيدة الطيبة
وتناولوا الطعام. وشكرتها هدير كثيرًا،
وكانت المرأة مطمئنة باستمرار بأنها في
أمان، وأن بإمكانها البقاء معها ما
تشاء.

لكن هدير ظلت خائفة، فتركها
السيدة تتصرف وفقاً لما تشعر به
من راحة. وقبل أن تغادر هدير،
أعطتها بعض المال لمساعدتها في الأيام
القادمة.

فرفضت هدير بشدة أن تأخذ المال،
وشكرتها على ما فعلته معها ومع
أبنائها، ودعت الله أن يعوضها خيراً.
لكن المرأة أصرت، وقالت لها:

هذا المال ليس لك، بل للأطفال. فأنا
في مقام جدتهم، فلا ترفضني طلبي من
فضلك.

حزنت هدير في داخلها لأنها
ستضطر إلى قبول المال، ولاحظت
السيدة ذلك، فقالت لها:

كما تريدني، لا تحزني.

ودعتها السيدة ، لكنها وضعت المال
في حقيبة الأطفال دون أن تخبرها،
حتى تتمكن هدير من الاستفادة منه.

فعندما غادرت هدير منزل السيدة،
لم يكن لديها أي مكان آخر تذهب
إليه،

وعلى الرغم من خوفها الشديد،
فكرت هدير في العودة إلى منزلها مرة
أخرى. وشعرت ببعض الاطمئنان
عندما أدركت أنهم يعرفون المنطقة
التي تسكن فيها، لكنهم لا يعرفون
موقع منزلها بالتحديد. واعتقدت أن ما
حدث بعد اعتدائها على زوجها ووالد

زوجها سيجعلها يخافان من مواجهتها
مرة أخرى.

ثم عادت إلى شقتها الموجودة أعلى
سطح المبنى.

وفي اليوم التالي، ذهبت إلى المدرسة
لتعيد ملف كريم وتعيده إلى الدراسة،
لكن المدرسة لم تقبله في البداية. وبعد
معاناة كبيرة استمرت عشرات الأيام،
استطاعت هدير أخيرًا إعادته إلى
المدرسة مرة أخرى.

لكنها فقدت وظيفتها، وكان ذلك خبرًا
محزنًا للغاية بالنسبة إليها. فقد كانت
هدير تعتمد على عملها لتوفير
احتياجات المنزل، لكنها رأت أن
الأمر الأهم في تلك المرحلة هو عودة
ابنها إلى المدرسة، ثم تبحث بعد ذلك
عن عمل جديد.

وحاولت هدير العودة إلى وظيفتها مرة
أخرى، لكنها اكتشفت استبدالها
الشركة بفتاة أخرى.

فتحطم حلم هدير في العودة إلى
حياتها الطبيعية مرة أخرى، فبدأت
تخشى عدوها الأكبر وهو الجوع
كان هذا الشعور أصعب بكثير من
الشعور بالمرض، فقد كانت هدير تمر
بجالة لا تُحسد عليها.

حتى تغيّرت سلوكيات هدير بشكل
كبير؛ بسبب خوفها من أن تعود إلى
الجوع مرة أخرى.

ولأول مرة في حياتها، ضربت هدير
ابنتها فرح بسبب لعبها بصوت مرتفع .
وما إن أدركت ما فعلته حتى جلست
تبكي أمام فرح، التي كانت تبكي معها
أيضًا. واعتذرت هدير لابنتها عما
حدث، ثم ذهبت إليها وحاولت
اللعب معها حتى تنسيها ما فعلته بها.
لكن ما حدث كان علامة على أن
هدير بدأت تصل إلى مرحلة خطيرة؛
فقد دفعها التوتر الشديد إلى فعل

شيء لم تكن تتخيل يومًا أنها قد
تفعله.

وبعدما لاحظت أن فرح نسيت
الضربة وعادت إلى اللعب والضحك،
سقطت هدير على الأرض، وغرقت
في تفكير عميق استمر ساعات
طويلة، حتى نامت وهي جالسة،
تنتظر خبرًا يفرح قلبها، لكن دون
جدوى.

كان الصباح مثل المساء، والأموال
تنفذ يومًا بعد يوم، حتى المال الذي

أعطته لها السيدة ووضعتَه في حقيبة
الأطفال بدأ ينفد.

وفي النهاية، لم يتبقَّ معها سوى مبلغ
إيجار الشهر.

وأصبح أمام هدير خياران لا ثالث
لهما :

إما أن تدفع الإيجار، فتحصل على
شهر إضافي في الشقة التي تسكن
فيها،

وإما أن تشتري الطعام لها ولأبنائها،
ثم تخرج لتعيش في الشارع.

كان الخياران أصعب من بعضهما؛
فالجوع قاتل، وقد جربت هدير مرارة
هذا الشعور من قبل، ولم تكن تريد
العودة إليه مرة أخرى. وفي الوقت
نفسه، كان الخروج إلى الشارع قاتلاً
لها ولأطفالها أيضاً.

جلست هدير تفكر في الأمر بآلم
شديد، وتذكرت كيف كانت تملك
المال من قبل.

والآن تغيّرت الحياة، لم يعد لديها ما
يكفي من المال، وأصبح عليها أن
تختار بين العيش في المسكن أو توفير
الطعام لطفلها.

وزاد الأمر صعوبة أن اليوم التالي كان
أول أيام الدراسة.

ذهب كريم إلى المدرسة، وعندما عاد
في نهاية اليوم، كان يبكي.

سأله هدير:

لماذا تبكي يا بني؟

أجاب كريم:

كل الأطفال يا أمي يسخرون من
ملابسي القديمة والممزقة.

جميعهم يرتدون ملابس جديدة، وأنا
الوحيد الذي أرتدي ملابس قديمة
وممزقة. حتى إن الأطفال لم يريدوا
الجلوس بجانبني على المقعد، وكانوا
يبتعدون عني، ولم يرغبوا في اللعب
معي. لن أذهب إلى المدرسة مرة
أخرى.

حاولت هدير تهدئته وقالت له:

ستذهب غداً بأجمل الملابس يا

حبيبي.

أدخلت هدير كريم إلى المنزل،

وجهازت له الطعام. وكان كريم يثق في

أن والدته ستفي بوعدھا، وستحضر

له ملابس جديدة.

وبعد أن انتهى من الطعام، قالت له

هدير:

أنجز الواجب الذي أعطاك إياه المعلم،
فأنا ذاهبة لأحضر لك ملابسك.

قال كريم:

أريد أن آتي معك حتى أختار
الملابس التي ستشتريها لي.

أجابته:

ابق هنا وأنجز واجبك، وسأخذ
أختك معي لنحضر لك الملابس.

استمع كريم إلى كلامها، وأخذت هدير
فرح وذهبت بها إلى مكانٍ مرعب

بالنسبة إليها؛ فقد ذهبت إلى مدينتها
القديمة، إلى المحل الذي كانت تعمل
فيه، بالقرب من المنزل الذي أُحرق
سابقًا. كانت هدير تشعر برعب
شديد، وتخشى أن يحدث أي أمر
يكشف وجودها، أو أن يراها
صاحب العقار السابق. لكنها لم تكن
تملك خيارًا آخر، ولم تكن تعلم أن
زوجها قد تصالح مع صاحب العقار.
لكنها لم تجد أمامها طريقًا آخر؛ فدموع
ابنها كانت أعلى من أي شيء.

فنظرت إلى فرح بخوف وأعطتها
ورقة، وأشارت إلى أحد الأماكن
قائلة لها:

اذهبي إلى ذلك المحل، وأعطي الرجل
الموجود هناك هذه الورقة. وإذا
أعطاك أي شيء، خذيه وتعالى إليّ،
ولا تقولي له اني أنتظره هنا.

أجابتها فرح:
حاضر يا أمي.

ذهبت فرح إلى المحل، بينما ابتعدت
هدير عن الأنظار، وجلست تدعو
الله أن يحنّ قلب الرجل عليها.
كانت الورقة تحمل الرسالة التالية:

أنا هدير، التي كنت أعمل عندك منذ
فترة. أحتاج منك مساعدة بسيطة .
ابني يذهب إلى المدرسة، والأطفال
يسخرون منه بسبب ملابسه الممزقة .
أحتاج منك طقم ملابس لطفلي
حتى يذهب به إلى المدرسة غداً .
وبمجرد أن تتحسن ظروفني، سأرسل

لك ثمن الملابس، وهذا وعد مني .

أرجوك، لا تكسر قلب طفلي.

ظلت هدير تنتظر عودة فرح، حتى

جاءت وهي تحمل الملابس.

قالت لها فرح:

الرجل الموجود داخل المحل أعطاني

هذه الملابس، وأعطاني هذا المبلغ

أيضًا، وقال لي أن أخبرك بأنك

تستطيعين الحضور وأخذ كل ما

تحتاجينه في أي وقت.

فرحت هدير كثيرًا، فقد كان المبلغ
الذي أعطاه لها متوسطًا، ويكفي
لشراء الطعام لها ولأطفالها لمدة عشرة
أيام تقريبًا.

عادت هدير إلى المنزل، وأعطت كريم
الملابس الجديدة. وما إن رآها حتى
ظهرت الفرحة على وجهه، ومن شدة
سعادته، نام والملابس بجانبه، وظل
ينتظر الصباح بكل سرور.

حتى يذهب إلى المدرسة مرة أخرى
مرتديًا ملابسه الجديدة.

وعندما أتى الصباح، ارتدى كريم
ملابسه بسرعة وذهب إلى المدرسة .
كانت هدير تعتقد أنه سيعود سعيدًا
هذه المرة، لكنه عاد باكيًا مرة أخرى،
وقال لها:

أمي، أريد مصروفًا أشتري به بعض
الأشياء مثل أصدقائي.

فقالت له أمه:

لا تبك يا حبيبي، سأعطيك مصروفًا
كل يوم، إلى جانب السندوتشات
التي تأخذها معك.

وكان هذا الأمر يؤثر في المبلغ المتبقي
معه، ويقلل ما لديها من مال.
وبدأ صاحب الشقة يذهب إليها
ويشتكي، قائلًا:

لقد دخلنا الشهر الثاني، ولم تدفعي
الإيجار حتى الآن.

وهدها بأنه إذا لم تحضر المبلغ في
اليوم التالي، فسوف يطردها هي
وأبناءها من الشقة.

فعرضت عليه هدير أن يأخذ نصف
المبلغ الذي معها، ويترك لها النصف
الآخر.

فقال لها الرجل:

نصف المبلغ الذي معك لا يكفي حتى
نصف إيجار شهر، وأنتِ اقتربتِ من
إكمال شهرين دون دفع الإيجار. أنا

أريد المبلغ كاملاً، وأن يكون عندي
الليلة. وإذا لم تحضره غداً، فسوف
آتي وأسترد الشقة وكان كلام الرجل
غاضباً.

حتى وضع هدير في موقف لا تُحسد
عليه بعد مغادرتها. بدأت هدير في
البكاء والصراخ وبعد وقت طويل
قررت أن تذهب إلى النار مرة أخرى
وتحديداً تاجر الملابس الذي سبق أن
ساعدها بتوفير ملابس لابنها، وأن
تطلب منه صدقةً تعينها على دفع

الإيجار، حتى لا يطردها صاحب
المنزل. كان هذا الأمر أصعب على
هدير من الموت. فأن تذهب وتطلب
الصدقة من شخص آخر كان أمراً لا
تستطيع تقبله. كانت كرامتها عزيزة
عليها، ولم تعتمد أن تمد يدها لأحد.
وبعد أن قررت الذهاب إلى صاحب
محل الملابس، ظلت طوال الطريق
تصرخ من الداخل وتبكي. كانت ممزقة
بين أن تدخل وتطلب منه صدقة،
وهو أمر لا تقبله نفسها، وبين أن

تُطرد من المنزل وتجد نفسها وأطفالها
في الشارع.

لكن كرامتها منعتها من الدخول وطلب
المال.

مرت من أمام المحل، وكان صاحب
المحل بالداخل. وكانت تسير هدير
بخطوات ثقيلة، وكأن كل خطوة
تدفعها بصعوبة نحو مصير مجهول. كان
أطفالها أمام عينيها، وكانت تفكر في
مستقبلهم وفي الشارع الذي قد
يصبح مأواهم.

كانت تسير ببطء، وعلى أمل واحد
فقط :أن ينادي عليها صاحب المحل.
ومع كل خطوة، كان قلبها يدق مئات
المرات، وكأن شريط حياتها كله
يُعرض أمام عينيها؛ مراحل نشأتها،
ووالدها، وخطوبتها، وكل ما مرت به .
كانت الذكريات تتسابق في رأسها،
بين ابتسامة وحزن، بينما كانت كرامتها
تمنعها من طلب المساعدة.

ومع ذلك، كانت تفقد الأمل مع كل
خطوة. كانت تريد أن تذهب إليه،

حتى لو تطلب الأمر أن تقبل يده
وقدمه، فقط ليقف بجانبها ويساعدها .
فقد كان ذلك الرجل آخر أمل لهدير.

لكنها لم تستطع كسر كرامتها، حتى
عبرت المحل بالكامل، وأنهت الشارع،
ثم عادت إلى منزلها.

أما صاحب المحل، فقد رأى هدير،
وكان ينتظر أن تأتي إليه. لكنه شعر
بالحرج من مناداتها حتى لا تظن أنه
يطالبها بثمان الملابس التي أعطاها

لابنها، فلم ينادِ عليها حتى لا يجرح
مشاعرها.

وهكذا فقدت هدير آخر أمل لها في
النجاة. وعادت إلى منزلها وهي لا تكاد
تري شيئاً أمامها. فالمال الذي معها لا
يكفي لدفع جزءاً من قيمة الإيجار
المطلوب، وفي الصباح قد تجد نفسها
هي وأبناؤها في الشارع.

كان عليها أن تجد حلاً سريعاً حتى لا
تفقد سكنها. مسحت دموعها،

وأخذت كل المال الذي معها،
وذهبت إلى مالك المنزل .

وقالت له:

هذا كل ما أملك، وليس لي في الحياة
شخص آخر أُلجأ إليه. أتمنى من الله أن
يحنّ قلبك عليّ، وألا تطردني غدًا أنا
وأبنائي. أنا أعطيك آخر مبلغ لدي
حتى أستطيع البقاء في هذا المكان
بضعة أيام أخرى. أعلم أنه ليس لدي
شيء آخر أقدمه لك، فهذا كل ما
أملك. خذ المال واتركني في الشقة.

فربما أموت أنا وأبنائي من الجوع قريبًا،
لأننا لا نملك المال لشراء الطعام .
وأهون عليّ أن أموت أنا وأبنائي من
الجوع على أن نموت ونخن في الشارع.
وعندما رأى الرجل انكسارها
ودموعها الصادقة، قال لها:

من لا يرحم لا يُرحم. اذهبي، شقتي
ملك لكِ ولأبنائك حتى تغادريها. لن
أطلب منك إيجارًا، ولا مقابل
الكهرباء أو الغاز.

من شدة فرحتها، شعرت هدير وكأنها
تطير من شدة السعادة، وكأن النور
عاد إلى قلبها من جديد.

ذهبت واشترت بكامل المبلغ طعامًا،
ولم تترك من المبلغ شي.

ثم عادت إلى المنزل ورتبته بعناية.
وكان ما اشترته يكفي لمدة سبعة أيام
كاملة، وهذا يعني أن أمامها سبعة أيام
فقط حتى تجد مصدر رزق جديدًا،
أو تجد حلاً ينقذها من الجوع مرة
أخرى.

كانت قد ضمنت بقاءها في الشقة،
لكنها لم تضمن وجود الطعام فيها.

ومع مرور الأيام، بدأت هدير تتناول
بقايا الطعام التي يتركها أطفالها، حتى
توفر لهم ما يكفيهم لأطول فترة ممكنة .
كانت تراقبهم وهم يأكلون، وتبتسم لهم
رغم أن معدتها كانت تؤلمها من الجوع .
لم تكن تريد أن يشعروا بشيء، ولم
تكن تريد أن يعرفوا أن أمهم تكتفي بما
يتبقى في أطباقهم حتى لا يجوعوا.

لكن الأيام مرت أسرع مما توقعت،
ونقد الطعام.

وعندما أقول إنه نقد، فأنا أعني أن
هدير وصلت إلى مرحلة لم يعد لديها
شيء تقدمه لأطفالها، ولا حتى لقمة
صغيرة تسكت جوعهم. لقد فعلت
كل ما تستطيع، وبحث عن كل
طريق ممكن، لكنها اصطدمت بحقيقة
قاسية :

الحياة لا ترحم الضعفاء، والمال قد لا
يشترى السعادة، لكنه في أوقات

كثيرة يشتري لك حق البقاء على قيد
الحياة.

واشتد عليها الجوع حتى سقطت من
شدة الإرهاق، ولم تعد تعرف ماذا
تفعل.

اقترب منها كريم وقال:

لماذا يا أمي لم تجهزي لنا الطعام؟

حاولت هدير أن تتماسك، وقالت له:

سأجهز لكم الطعام يا حبيبي، انتظر
قليلاً.

لم يكن كريم يعرف شيئًا عما يحدث،
ولم يكن يفهم لماذا أصبحت أمه
عاجزة عن إعداد الطعام كعادتها.

قال لها مرة أخرى:

يا أمي، أنا جائع جدًا، أريد أن أكل.
ردت عليه هدير والدموع تملأ عينيها:
سأجهز لك الطعام يا حبيبي، انتظر
قليلاً.

كانت تقول ذلك وهي تعلم أنها لا
تملك شيئًا. لم يكن في المنزل طعام،

ولا خبز، ولا حتى قليل من الملح. لم
يكن هناك ما يمكنها أن تضعه أمام
أطفالها، مهما حاولت.

ظلت تبكي في صمت، وتحاول أن
تخفي دموعها عن ابنها، حتى لم يعد
كريم قادرًا على الانتظار، فصرخ فيها
قائلًا:

يا أمي، أنا أموت من الجوع! هل
ستحضرين لي الطعام أم أنزل لأحضر
طعامًا من القمامة؟

وكانت كلماته كالسيف الذي غرس في
قلبها.

لم يكن كريم يقصد أن يجرحها، فهو
طفل لا يفهم معنى العجز ولا يدرك
حجم الألم الذي تعيشه أمه. لكنه قال
جملة جعلت هدير ترى أسوأ ما يمكن
أن تراه أم في حياتها: أن يضطر
طفلها إلى البحث عن الطعام في
القمامة، بينما هي تقف أمامه عاجزة
عن إطعامه.

في تلك اللحظة، لم تعد تفكر في
كرامتها، ولا في خلافاتها مع زوجها،
ولا في كل ما فعله بها. لم يعد أمامها
سوى طفلين جائعين.

وبكل ما تبقى لديها من قوة، قررت
أن تضحي بكرامتها مرة أخرى من
أجل أبنائها.

بحثت عن هاتفها، وبعد محاولات
كثيرة استطاعت تشغيله، ثم اتصلت
بزوجها.

قالت له بصوت منك، تحاول أن تمنع
نفسها من الانهيار:

اسمعي، أنا لا أتحدث معك عن المال
الذي أخذته مني، ولا عن كل ما
فعلته بي. أنا أتحدث معك في كلمة
واحدة

تعال وخذ أبناءك، واطركني أموت من
الجوع وحدي. ابنك يريد أن ينزل
ليأكل من القمامة! نحن لا نملك طعامًا
منذ الصباح. تعال وخذهم واعتن بهم،
فأنت والدهم، ومن المفترض أنك

ستكون أحن عليهم من قسوة الحياة .
تعال في أسرع وقت، وإذا استطعت
أن تحضر لهم طعامًا في طريقك،
فأحضره معك.

رد الزوج ببرود وقسوة:

بعد كل ما حدث، تأتين الآن لتقولي
لي: تعال وخذ أبنائك؟ أنا لا أريد
أبنائي. ابقِ أتي معهم، أليست هذه
هي الأبناء التي ضربتني أنا ووالدي
من أجلهم؟ الآن لا تريدنيهم وتريدني
تركهم لي والذهاب للعيش مع

عشيقك؟ بالمناسبة، أنا أعرف كل
شيء، لكنني كنت صامتًا.

قالت هدير وهي تحاول أن تتمالك
نفسها:

أنت لا تعرف أي شيء! أقول لك إننا
لا نملك طعامًا منذ الصباح. الأطفال
يكونون، وفرح نامت والدموع في
عينها من شدة الجوع، وأنا لا أجد ما
أقدمه لهم. كن مسؤولاً عنهم ولو لمرة
واحدة في حياتك تعال وأقذ ابنك .
وأحضر معك أي طعام، وتعال

خذهما واذهب. الأطفال ينامون من
دون أن يأكلوا. وأقسم بالله أتي لن
أقول لك كلمة، ولن أفعل لك شيئًا .
فقط تعال، فأنا لا أريد أن أرى أبنائي
يموتون جوعًا أمام عيني.

أنا لا أستطيع النظر في وجوه أطفالي
الآن وأنا عاجزة عن إطعامهم. لقد
أخذت مني كل الأموال التي كانت
في حسابي البنكي باستخدام التوكيل .
هل يمكنك أن تعيد لي جزءًا منها إذا
لم ترد أن تأتي ؟ بل لا، لا لا تعِد لي

أي أموال احتفظ بكل ما أخذته .
أرسل لنا طعامًا فقط. الأطفال ليس
لديهم ما يأكلونه. أرجوك، أتوسل
إليك، أبوس يدك، أنقذ أبناءك .
أطفالنا يموتون من الجوع، وأنا لا
أستطيع أن أتركهم ينامون من دون
طعام.

وجاءها الرد أقسى مما توقعت:

اتركهم ينامون من دون طعام، وأنا
موافق. وإذا كنتِ تفعلين كل هذا
من أجل الحصول على أي أموال،

فلن أدفع لك شيئًا. وأتني ليس لك
عندي أي أموال.

فقلت هدير بسرعة، وكأنت تخشى
أن ينهي المكالمة قبل أن يسمع رجاءها
الأخير:

أنا قلت لك أنا لا أريد أموالاً ! أنا
أريد أي طعام، حتى لو أحضرت لنا
خبزًا فقط. يمكنك أن تحوّل الآن مبلغًا
بسيطًا على رقم متجر للمواد
الغذائية، لأشتري به خبزًا، لا أريد

أي شيء آخر. فقط أريد أن يأكل
الأطفال، وألا يناموا وهم جائعون.

فأجابها الزوج:

لن أحول لك أي أموال. أريدك أن
تدركي قيمة زوجك، وأن تتعلمي كيف
تقدّرينه، وتعرفي معنى الحياة
الزوجية، وتحترمي بيت زوجك وبيت
والد زوجك. وبعد أن تفهمي كل
ذلك، يمكنك التواصل معي.

وأنا سأرى إن كنت سأرسل لك
أموالاً أم لا.

قالت هدير بصوت متهدج، وقد
اختنقت الكلمات في حلقها من شدة
البكاء:

أرجوك، أتوسل إليك، الأطفال
يموتون من الجوع. أرجوك، أنقذهم. لا
تغلق الهاتف في وجهي

ألو

ألو!

لكن الزوج أغلق الهاتف.

ظلت هدير تنظر إلى الشاشة، وكأنها
لم تستوعب ما حدث. لم يكن الأمر
مجرد مكالمة انتهت، بل كان آخر باب
طرقت عليه لإنقاذ طفلها، فأغلق في
وجهها دون رحمة.

في تلك اللحظات ومن شدة الألم ،
تعرضت هدير لجلطة دموية مفاجئة،
وبدأ جسدها يفقد قدرته على
المقاومة، وشحب وجهها حتى تحول إلى

اللون الأصفر الباهت. ثم فقدت
وعيمها، واستقرت الجلطة في المخ.
ومع حلول الصباح، بدأ كريم وفرح
يستيقظان. بحثا عن أمهما داخل
الشقة، وناديا عليها أكثر من مرة،
لكنهما لم يجداها.

خرجا يبحثان عنها، حتى وجداها
ملقاة على سطح العقار أمام الشقة،
بلا حراك.

اقتربا منها وحاولا إيقاظها، لكن هدير
لم تستجب.

لم يفهم كريم ما الذي حدث، ولماذا لا
ترد أمه عليه. نزل مسرعًا وهو يصرخ
طالبًا المساعدة من الجيران.

هرع الجيران إلى السطح، وحاولوا
الاطمئنان عليها، ثم طلبوا سيارة
الإسعاف على الفور. نُقلت هدير إلى
المستشفى، لكن الأطباء لم يتمكنوا
من إنقاذها، وانتهى بها الأمر في
ثلاجة الموتى.

أما الطفلان، فقد تولت إحدى
الجارات رعايتهما، وأخبرتتهما أنهما
سيبقيان معها قليلاً حتى تعود أهما
وتأخذهما.

نظر إليها كريم وقال ببراءة موجهة:

أنا وأختي لم نأكل شيئاً منذ صباح
أمس نحن نريد أن نأكل.

لم تستطع المرأة حبس دموعها. كانت
تعرف أن وراء هذه الكلمات حكاية
أكبر من أن يتحملها طفلان. أسرع

وأحضرت لهما كل الطعام الموجود
لديها، ووعدتهما بأنهما سيذهبان إلى
أُمهما فور انتهائهما من الطعام.

لكنها كانت تعرف الحقيقة التي لم
يعرفها الطفلان بعد؛ لقد رحلت أُمهما،
ولن تعود.

بعد أن تركتهما يأكلان في الأسفل،
صعدت المرأة إلى السطح، حيث
وجدت هاتف هدير. أخذته واتصلت
بآخر رقم كان قد اتصل بها.

رد الزوج، فقالت له:

هل تعرف صاحبة هذا الهاتف؟

فأجابها:

نعم، إنها زوجتي.

قالت له بتردد:

لا أعرف كيف أخبرك بهذا، لكن
زوجتك فارقت الحياة. وأطفالك معي
الآن. يمكنك أن تأتي وتأخذهم،
وتذهب لإتمام مراسم الدفن.

فرد الزوج:

هل هي أخبرتك أن تقولي لي هذا
الكلام حتى آتي؟ أنا لن آتي.

قالت المرأة:

أنا لا أكذب عليك. زوجتك توفاهها
الله، وأبناؤك عندي. يمكنك الذهاب
إلى المستشفى والتأكد بنفسك.
ذهب الزوج إلى المستشفى، وتأكد
بالفعل من وفاة هدير.

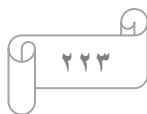
لكنه ترك جثمانها في المستشفى،
وغادر ليذهب إلى المرأة ويأخذ أبناءه،
رافضاً استلام جثمان زوجته أو تولي
إجراءات دفنها.

اضطرت المستشفى إلى التواصل مع
إحدى الجمعيات الإنسانية، وأبلغتهم
بحالة هدير، فتقدمت الجمعية وتكفلت
بإحضار الكفن وإتمام جميع مراسم
الدفن.

وهكذا دُفنت هدير في مقبرة تابعة
للجمعية.



ورحلت هدير



رحلت تاركة خلفها حياة قاسية لم
ترحمها يومًا. كانت تحلم بأن تعيش
مثل أي فتاة، وأن يكون لها بيت
هادئ وزوج يحبها ويحميها، وأن ترى
أبنائها يكبرون أمام عينيها دون
خوف من الغد.

لم تطلب قصرًا، ولم تحلم بالثراء، ولم
تكن تريد أكثر من حياة بسيطة
تستطيع فيها إطعام أطفالها والنوم

دون أن تخشى أن تستيقظ على كارثة
جديدة.

لكن ضغوط الحياة كانت أكبر من
قدرتها على الاحتمال.

لم تمت هدير لأنها لم تحاول، ولم ترحل
لأنها استسلمت بسهولة.

لقد قاومت كثيرًا، وتحملت ما يفوق
طاقة إنسان واحد. واجهت الخوف
والفقر والخذلان والإهانة، وحاولت

أن تقف في وجه العالم كله من أجل
طفليها.

وقفت أمام النار، وواجهت المجتمع،
وتحملت المطاردة والاتهامات،
وسقطت مرات كثيرة ثم نهضت من
أجل أبنائها.

لكنها في النهاية لم تجد طعامًا تأكله،
ولم تجد يدًا تمتد إليها، ولم تجد إنسانية
تنقذها.

لم ينتصر عليها العالم بقوته، بل هزمها
الجوع.
النهاية.

تأتي هذه الرواية ضمن إصدارات
الكاتب يوسف النصر، وتعد الرواية
السابعة عشرة في مسيرته الأدبية.
ويمكنكم قراءة روايات الكاتب يوسف
النصر مجاًناً عبر المنصات الأدبية
والمكتبات الإلكترونية المختلفة، كما

تتوفر نسخ ورقية مجانية تُوزَّع خلال
المعارض المحلية والدولية.

لمعرفة أماكن توزيع النسخ الورقية
ومواعيدها، يمكنكم متابعة صفحة
الكاتب على فيسبوك باسم:

يوسف النصر Youssef Al-Nasr

كما يمكنكم العثور على إصدارات
الكاتب الأخرى من خلال البحث
عن عناوينها عبر محرك البحث
Google، ومن أبرزها:

• رواية المهدور

• رواية نظرية الفرفة، والمتوفرة

بثلاث لغات: العربية والإنجليزية
والصينية.

• رواية حرام في حرام

• رواية بنت الجلف

• رواية 8 ساعات حب

• رواية نعم أنا غبي

• رواية ينوم

- رواية حرب ٣ م
- رواية رهيفة هانم إدريس
- رواية تحدي ليه؟
- رواية أنا رجل يا حنان
- كتاب لا حب بل تعود
- رواية شاتجو
- رواية عقد نفسية

هذا العمل محمي بموجب قوانين حقوق
الملكية الفكرية، وأي استخدام غير
مصرح به يعرّض صاحبه للمساءلة
القانونية.

جميع حقوق الطباعة والنشر والتوزيع
محفوظة للكاتب يوسف النصر.